أحد أعمال سلسلة الحقبة الفاسدة

فساد

الطاقة هي الكابوس 2

كتابة:

جاك فيرسون



فساد

الفصل الإضافي

أثينا والسراب

كتابة وتنسيق وتدقيق

جاك فيرسون

أثينا والسراب

(11) حلم الواهية

1- فليريا الحمراء (06)
2- رافقيني لأجد قلبك (18)
3- حمراء وفضية (25)

(12) القطة الضائعة

1- لحظة غروب (32)
2- حافظا الليل (39)
3- حافظا النهار (48)

(13) فساد

1- زهرة الخلود (54)
2- ثورة السيوف والحكمة (58)
3- من يخافها الموت (66)

ملاحظة هامة

هذا هو القسم الثالث من **"الطاقة هي الكابوس: فساد"** وليس رواية منفصلة بحد ذاتها، يستكمل القسم الأول المسمى بـ "فساد: ثلج المذنبين" والقسم الثاني المسمى بـ "فساد: نمسك أيدي بعضنا"، ثلاثتهم نشر إلكترونياً فقط بهذا الشكل، ولكن ورقياً يأتون في عمل واحد بالاسم الكامل والذي يتوفر إلكترونياً أيضاً بنفس أبعاد وشاكلة النسخة الورقية.

وعلى الرغم مما كتب سابقاً، يمكنك قراءة هذا القسم من العمل دون سابقه، أي القسم الثاني، لأنه فقط يحكي مجموعة من القصص القصيرة غير المرتبطة ببعضها البعض، ولكنها مهمة أيضاً لسلسلة الحقبة الفاسدة، وهذا القسم يعتبر مستكملاً لأحداث القسم الأول المرتبطة، لذا من الضروري قراءته بعده.

يبدأ هذا القسم بالفصل الحادي عشر "حلم الواهية" وهو الفصل التالي لـ "حرب في حانة" الذي يعد الفصل العاشر في العمل الأصلي.

جاك فيرسون

الفصل الحادي عشر: حلم الواهية

(1) فليريا الحمراء

لم أكن أتوقع أبدًا أن أشعر بحركتها الخفيفة في الجوار، ليس حتى أن نصل إلى هذا العمق في علاقة قصيرة كانت من المفترض أن تنتهي بقتلي إياها، وتحديدًا في هذا الوقت المتأخر من الليل عادة ما تكون نائمة فيه على مكتبها، أو مشغولة في أبحاثها عندما تكون عالقة عند نقطة ما، الفضول حرك حينها قدماي للنهوض من السرير على غير العادة، خطوات لفتح الباب نحو عالم مليء بالحكايات الخيالية من جيل قديم وتنانين، هي خلف الطاولة تحمل كأس قهوة ساخن تم إعداده قبل لحظات، ووجهها شارد في حلم بعيد، حلم مرعب بشكل أو بآخر، هذا ما توحي به نبضات قلبها المسموعة من هذه المسافة، تجاهلت حضوري بالكامل بداية وسط نظرات عابسة متوسلة، ومن ثم رفعتهما نحوي بعد اقترابي منها، براقتان كطفلة ترجو مني أمساك يدها، ما الأمر الفريد الذي حدث لكي تبعثر كل تلك الأبحاث الهامة على أرضية الحديقة؟ ما المصيبة التي قد أصابتها فجأة؟

- حاولت ألا أصدر ضجيجًا بينما أقوم بتحضيرها، أعتذر إن كنت قد أيقظتك.
- ليس بالأمر المهم حقًا إن كان أنت من يصدر ذلك الضجيج. هل حصل شيء ما؟ تبدين أكثر فوضوية عن العادة، نسيتِ حتى إغلاق أزرار قميصك.
- ليس بشيء يتعلق بك. سأشرب قهوتي وأعود لالتقاط أوراقي إن استطعت.

ما بعدت عيناي عنها، فلم يكن من الصواب تركها وهي بتلك الحالة. جلستُ على المائدة بهدوء إلى جانبها سائلاً:

- حلمتِ بشيء ما؟ يمكننا الحديث عنه لبعض الوقت إن أردت.

شاحت بنظرها بعيدًا حينها نحو انعكاس ضوء المصباح على رغوة الحليب الطافة على السطح، وكأن الأحداث هناك تشكلت من جديد، ومن ثم عادت بنظرها، بنظرة سرور هذه المرة، وبابتسامة ذابلة حاولت فيها مجاراة ابتسامتي. نعم! هنالك بدأت أحداث هذه الحكاية الطويلة التي سردتها بكلماتها وسط ضحكاتنا وهمساتنا، قاضين ما تبقى من الليل بأكمله في عالم فليريا السحري، وماذا عنك؟ هل أنت مستعد أيضًا لتشاركنا هذه الليلة؟

***

باتت هي من ترافقني من بين الجميع بعد ما ظننت أنها الأقل أدراكًا لأهمية هذا المكان بالنسبة لي وهذا الفعل، وكانت من تحمل سيفها بكلمات ممزوجة بمشاعر حساسة عميقة ومرتبطة بقلبي منهم، كابتسامة كلما تحدثتُ، وكعذاب كلما توجعتُ، بل وابتعدتُ، لم أعد رولاندوس القديم، ذلك الفتى الوحيد الذي يسقط أعظم الوحوش بدرعه الصلب وسيفه، ولها بتنا الأبطال الذين يقفون لأجل العالم ضد الظلام، لا تعلم أنني ضعيف نفسٍ يبحث فقط عن بقايا الديار، ومتى حدث كل هذا؟ أنا حقًا لا أتذكر شيئًا غير أننا كنا نقوم بما نحب القيام به فحسب، قتال الوحوش، وتحريك أطراف أناملنا مغرقين أنفسنا بالدماء مستمتعين بالألم وهو يخترق قلوبنا وأجسادنا من طرف إلى الأخر، وضحكاتنا بعدما نسقط وسط الجثث، أحبتْ مشاركتي هذه الرحلة، وهي لم تخيب أمالي أبدًا.

أشجار غابة فمرسا أحاطت بنا من كل جانب، وبسيفها الذي يدور بزاويته الواسعة حلق وسط ذراعيها تسخينًا لما ستقوم به لاحقًا، دون خوف مشت بخطوات بطيئة على الأرضية المغطاة بأوراق الشجر، تدريجيًا زادت سرعتها حتى أصبحت كالشيطان الذي يختبأ في ظلال الشمس من واحد لآخر دون أن تلحظ انتقالاته. أعدتُ سيفي إلى غمده، ورفعت درعي نحو صدري مرتكزًا عليه بكلتا ذراعاي، فلست ساذجًا لفعل ما تريد مني القيام به، ملاحقتها في أرض صنعتها من فخاخ ستوصد فورًا على قدماي.

وعندما استقرت الأوراق على الأرضية، واختفى صوت الركض تقريبًا، أحكمتُ يداي على الدرع بقوة متوقعًا منها الهجوم، ولكن كان سيفها العظيم الذي حضر كالصقر محلقًا بكامل منزلته ليخطف مني الدرع حركتها الأولى، اصطدم بي ضاغطًا علي حتى ثنيت صدريتي المعدنية من شدة قوته، ولولا أني لم أزح ذراعاي ملقيًا به للسماء، أو كما تظن كنت ممسكًا إياه بيد أحادية موجهًا الأخرى نحوها، لكان اخترق الدرع كما أرادت. عاد المتشقق لأصله إلى جانبي، ومسكت السيف مخرجًا إياه من منزل بؤسه وعذابه، وتقدمتُ خطوة كانت كفيلة لرؤية الشمس المعاكسة لغطاء عينها الفضية اللامعة، بالقرب مني كانت رفق سيفها الذي تلاشى من جانبي عن الأرض في لحظة، فيحين صراع اليد العليا، ضربة منها من الأعلى مخفضة سيفي نحو الأرض بثقل خاصتها، والتالية مني رافعًا سيفها بعيدًا وبأخرى مباشرة لليمين تصدها مع سقوط سيفها بوزنه ملوحة به للخارج، جبرتني حركتها العودة بخطوة ودورة عار للخلف لكيلا يتحرر من قبضتي، بل وشددتُ عليه بيدي الأخرى مسقطًا قطعة المعدن المهترئة، ونهيتُ تلك الدورة بضربة لليسار كانت ستشق رقبتها لو لم أوقفها.

- لا يجب عليك القتال بذلك السيف إن كان أثقل من رفعه لتصدي به ضربتي!

استفزتها تلك العبارة حتى رفعت سيفها بهمجية للسماء، تشد عليه بكلتا يديها ظانًّا أن القتال سيستكمل من لحظة التلويح بسيفي بعيدًا، ولكنني كنت حينها قد سبقتها بجولة كاملة، فعندما نزلت به من مقامه العالي، أصبت فراغ المقبض رافعًا إياه من تجاويف كفيها، فعلق بأحد الأشجار بعيدًا، وقبل أن تلتقطه من الأعلى بخطواتها السريعة، كان درعي حاضرًا كالصقر محلقًا بكامل منزلته، فحال بينها وبين السيف مسافة، هي ذاتها التي رفعت بها سيفي نحوها بعد خطوات دون انتباهها، كما كان جذع الشجرة نقطة وقوفي، فسكنت حسبًا متجمدة دون اتخاذ قرار، وانتهى النزال.

بقى السيف مثبتًا بالشجرة المسكينة، دلالة على الهزيمة النكراء لأحد أبطال العالم، وجلست تحته سعيدًا بتلك النتيجة التي كانت النتيجة دومًا، فروبي على غرار كونها بطلًا ليست فتاة شديدة القوة، هي فقط اعتادت القتال بذلك السيف، وربما لأنها متهورة لا توقف هجومها أبدًا، خليط فريد بين طيش وشفرة تقطع كل شيء. ولمَ كان هذا النزال منذ البداية؟ ربما قد يبدو الأمر سخيفًا ولكنه بدأ عندما رفض كلينا تجهيز المخيم، فعرضتُ ذلك الاقتراح، من يفز بالنزال سيحضّره دون الآخر، ولهذا حَضَرتْ الآن تحمل أغصان الأشجار، وضعتها على الأرض ورفعت ذراعيها للسماء تمددهما بعدما تخدرتا بالكامل من جهد محاولة إبقاء سيفها في الأعلى لمدة، مشاهدتها بهذه الحالة فقط يبعث المأساة، ولهذه ينتهي الأمر كما ينتهي دومًا، نساعد بعضنا في تجهيز المخيم وإشعال النار.

- الجو هنا جميل على عكس فليريا العاصمة، حتمًا يمكنني النوم من دون نار، أحسدك على اعتيادك العيش هنا حتى أتذكر المصير الذي قابلتموه، الخراب. نحن نمشي خلال الغابة منذ ساعات، فكم تبعد مدينة فمرسا من هنا؟
- لقد ألقيتِ سيفك نحوي مباشرة عند بداية القتال، ألم تخشي أن يصيبني حقًا؟
- لم أرى حولك هالة موت في الصباح، لذا لم يكن علي إيقاف نفسي أبدًا خلال النزال، لأنني أعلم أنه لن يصيبك مكروه أبدًا.

نعم، هذه هي قدرتها البغيضة، سبب قوتها الحقيقية، سبب شجاعتها، سبب طيشها المفرط، لقد وعدتني آلاف المرات ألا تستعملها، ووضعت ذلك الغطاء عليها لكي تبرهن لي ذلك، وبينما هي خلف ظهري تخلعها دون اهتمام، الأمر فقط محبط لأبعد الحدود.

- وماذا إذا رأيت تلك الهالة حولي؟ ما الذي ستفعلينه حينها؟

نفس عميق دخل صدرها حينها تستجمع خلاله الكلمات التي ستخرجها بعشوائية وهي تعلم أنها لن تستطيع إثبات حجتها، ولكن لحسن حظها قاطعنا صوت وحركة الحشائش.

- سيفُكِ! - في يدي بالفعل! - حافظِ على تركيزك والمسافة!

إنه حصان ناصع البياض، بشارة فليريا على جانبه، لابد أنه حصان ملكي حضر باحثًا عنا، وكانت النار في الليل خير دليل على وجود صورة حياة في منطقة الخراب هذه، اخفضت روبي سيفها دون ركوع أحد منا، حتى خلع الفارس الذهبي خوذته، إنه الأمير فاليان، أحد الأبطال وقائد جيش فليريا الحالي، حينها وجب علينا الركوع، ماذا سيلقي علينا من أوامر هذه المرة؟

- أيها البطل رولاندوس، والبطلة روبي، قفا! الملك طلب حضوركما لاجتماع عاجل آخر، الخطر الجديد قد اقترب كثيرًا من حدود فليريا، ونحن بحاجتكما ولباقي الأبطال لقتل تلك الشيطانة، عصيدة، وغربانها لمرة أخيرة، فتوقفوها قبل أن تطأ أقدامها النجسة وحربها أرض فليريا الطاهرة، لأن مملكتنا لن تلقى مصير الحمراء أبدًا.
- كلنا آذان صاغية لكلماتك أيها القائد! ما هي أوامر الملك هذه المرة؟
- لن تتحركا من هنا، يريد الملك أن تجتمعا في فليريا العاصمة مع باقي الأبطال، الراهب أوريون، والتنين ديلارا، وأنا، فتخوضوا رحلتكم من هناك نحو سيماه. الكلمات الرسمية تؤلم اللسان! هيا! ألا ترغبان بالمغادرة معي عبر ميناء كوفا؟
- فقط امنحنا دقيقة إذن لجمع أغراضنا! سنغادر الآن.

مشينا مسافة طويلة بين جموع الفرسان، طويلة حقًا، نرى خلال هذه الرحلة ما تبقى من حضارة عظيمة اشتهرت بقوتها، بفرسانها، بحروبها، ولا شيء آخر، لم يعد فيها بعد الأسود غير فتات الصخور والرماد والأشجار، وميناء كوفا الذي أعيد تشييده لتأمين تلك المناطق تحت راية فليريا، ليس وكأنها لم تكن هكذا في السابق، من هناك استكملت الرحلة فوق خليج كوفا وجزره وصولًا إلى ساحل المملكة، فأكملت وروبي الرحلة بمفردنا من هناك.

- أشعر بالأسى لعدم وصلونا فمرسا، ولكننا مررنا بالكثير من المناطق في الحمراء، أعتقد أننا تخطينا حتى ريام الصغرى والعظمى في طريقنا إلى كوفا.
- عبرنا فقط الخراب، لا ينسب أيٌّ مما رأيتيه للحمراء، والشكر يعود لفليريا وطريقتها في إصلاح القارة بعدما تركتها تغرق لآخر لحظة في الطوفان. سنذهب نحو سيماه، أتذكر أنها موطئ قدمك، ما رأيك في ذلك؟
- لا أتذكر أي شيء منها لأتشوق لرؤيتها كما تتشوق لفمرسا، لقد خرجنا من هناك وأنا فتاة صغيرة، عبرنا الحدود...
- ألم يوقفكم فرسان خطاف الكنيسة عندما عبرتم؟
- لقد منعونا من دخول الأراضي الشمالية فحسب، ومن ثم اختيرت ديلارا لبناء مخيم زورا-داون الذي تحول لاحقًا بسببها لمدينة زورا الجنوبية، وخلال أيام الطوفان قاموا بتجنيدنا لحماية الحدود.
- حتى أنت؟
- لم يكونوا يهتمون حقًا لأعمارنا، ديلارا كانت صارمة في هذا الأمر. ولولاها لِمَ كنت هنا في الغالب، يمكنك تخمين ذلك.
- من ناحيتك يبدو الأمر عظيمًا، لقد هجرنا نحن إلى كوفا، ليس وكأنني لم أكن قادرًا على القتال حينها، ولكنني فضلت حمل أمي العجوز طوال الطريق والوقوف بجانبها لحظة عبور البحر، ولحسن حظنا كنا في الدفعة الأولى التي وصلت قبل أن يقرر منجنيق كوفا إغراق باقي الدفعات، لقد كانت مجزرة مأساوية.
- الأمر سخيف، لم يكونوا يهتمون أبدًا لأمرنا، فلم نقوم الآن بحمايتهم كالأبطال، اللعنة، رغبت سابقًا دومًا بقتل ذلك الملك! أليست ديلارا من الحمراء أيضًا؟!

سؤالها حقًا في محله، لم نقوم بحمايتهم الآن كالأبطال؟ ليس وكأن لدي جواب غير أننا تركنا كل ما يتعلق بنا، وفقدنا ذلك الوطن الذي ارتبطنا به، فلم يعد لنا مكان خارج فليريا، حينها تغيير الانتماء والاندماج كان الحل الأسهل، هذا ما صور لنا، ولكن الألم الذي عشناه فيها، المعاناة في محاولة الانخراط بمجتمع فليريا الفاسق، صنع منا هؤلاء الأشخاص الذين يدعون بالأبطال، كان الخروج من فليريا والقتال بعيدًا هو أسما أمانينا، وتنفس هواء الوطن الذي خلط بذكريات الحرب والموت التي كنا نعيشها دومًا سابقًا ألذ ما فيه، ورؤية ركام منزلك وحضن عشب حديقتك مجددًا كل ما سعينا لأجله لسنوات.

هيا حلق ذراعيك في الهواء، واطلب المغفرة إن لم تكن تريد أن تعدم! اللعنة على هذه المقدمة السخيفة، ولكن رؤية هذا الشخص دومًا تثير اشمئزازي وتحديدًا عند تذكر كلماته، وقارورة الخمر التي في يده، غطت قبضتي مقبض السيف المستعد في غمده، ولكن حينها ظهرت ديلارا، ولأنني أُكن لها احترامًا لمَ جاهدت لفعله من أجلنا، فلا يمكنني أبدًا رفع سيفي أمامها، فكان يوم سعده، ذلك الراهب النجس. ومباشرة فور ما لاحظت حضورها كانت روبي قد جرت نحو البوابة تاركة إياي خلفها، مرحبة بمعلمتها وسيدتها القديمة، بينما أنا مشيت وحيداً في الخلف.

عبر أربعتنا البوابة متباعدين، ويقال أننا الفريق الأعظم الذي سينقذ العالم للمرة الثانية، كم هذا مضحك. ولكن حقًا لم يغير هذا شعور لحظة الدخول التي تجعلك تدرك مقامك بالنسبة لهذه المملكة، فعندما عبرت، وقد كنت الأخير، ألتفت الخيول البيضاء من حولي، براياتهم الزرقاء وسيوفهم الذهبية، خطونا على بساط الزهور مع صوت رنين جرس الكنيسة، لم يكن حقًا الأمر كاستدعاء، بل كان يشبه حفلات التتويج، فقط تخيل نفسك الملك والفرسان على جانبيك ومن خلفك، والجمهور تنظر نحوك بسرور من كل نافذة وحشود الرصيف، ما دعاني لأغلق عيني عائدًا لسكينة لم أشعر بها في السابق،

فهذه اللحظة ستخلد كحلم بالنسبة لي لاحقًا، وعلى الرغم من ذلك، كنت سأفضل المغادرة من فمرسا إلى سيماه مباشرة، وقتال عصيدة بمفردنا من دون هؤلاء، فأنا لم أكن أرغب حتى بسماع اسماءهم منذ أخر مرة تركتهم فيها.

عادت روبي بعد عدة دقائق لتقاطع حفل الشاي خاصتي، وضعت الكأس على الطاولة تجهيزًا للترحيب فيها حتى تبعتها الأخرى، من الشرف حقًا لقاء ديلارا وتحديدًا في وقت كهذا، فما كان مني غير أني وقفت عن كرسيي.

- مرحبًا بعودتك يا روبي! وتحياتي لهذا الزائر العظيم الذي برفقتك.
- (ديلارا) بل أنا من عليه شكركما على قبول دعوتي، بعد الشجار الذي دار في آخر لقاء بينكما وبين الآخرين، كنت متأكدة أنكم ستتخلون عن فليريا للأبد.
- (روبي) دماء القتال تجري في عروقنا! داه! لقد شحذت سيفي بالفعل لقطع رأس تلك العجوز! الشيطان العفن، أظننتِ أننا سنرفض دعوة لحفل عظيم كهذا!!

لقد تغيرت تعابير وجهها، شيء ما جرح مشاعرها في كلمات روبي، هل يا ترى أزعجها وصف عصيدة بالشيطان العفن؟ ما جعلني حينها أنتفض لسؤالها:

- بحكم عمرك، هل التقيت بعصيدة في السابق؟
- لقد قدتها في فترة كانت تلقب فيها ببطلة الحمراء، فقد حلت أعظم مشاكل القارة في مدة قصيرة حتى رغبوا بها حاكمة للمملكة دون أمها، وعندما لم أستطع إيقاف حرب التوحيد، هي من وقفت أمامهن، وفي النهاية أنا من ساقها لصد الطوفان. لم تكن شديدة الاستقرار حينها، ولكنها كانت عاقلة لتميز الصواب من الخطأ.
- (روبي) لا أتذكر غير خبر إحراقها أكبر حانة في القرية عندما حضرت لسيماه!

- لم تكن فتاة سيئة أبدًا، كيف تغيرت إذن؟ أليس من المفترض أن البطل الذي يعبر أقصى الشرق يتوج ملكًا كما تقول النبوءة، ماذا عنها؟ لماذا هي الآن وحشًا يدمر ما بنيناه في الحمراء؟!
- هناك عبارة تدور في ذهني، وإن صحت، فأنا المذنبة الوحيدة في هذا الأمر، المخطئ المتسبب في كل هذا: أن الوحوش لا تتوج ملوكًا أبدًا، كما لا تحكم بشرًا.
- هذا سخيف!! ومضحك! لقد سقتها لقتم الطوفان ولكنك لم تعرف أنها لا تستطيع ارتداء التاج! ماذا إذن؟ هل ينتهي الطوفان بوصول أي بشري إلى هناك؟ هل هذا كل ما نحتاجه؟!
- هي فرضية، لهذا سنقوم بقتل ذلك الوحش الهائج، وسنكمل رحلتنا نحو أقصى الشرق، وسيتوج أحد خمستنا بطلًا هناك لننهي هذه النبوءة الهزلية.

يا إلهي! لقد نسيتْ شيئًا آخر، من منا سيختاره التاج.

كان علي أن أقوم بقتلها عندما سمحت لي الفرصة، كما كان علي قتل الشيطان بمفردي حينها، لم يكن سيحصل إيٍ من هذا لو قمت بما علي فعله منذ البداية.

شعور حسرة لم يترك قدمها منذ أن غادرت الحمراء، لقد نسيتْ أيضًا أنها كانت منقذة لملايين البشر الذين هربوا من الحمراء عند الطوفان، وكأن تلك الأمور لا تعني لها شيئًا، لدي إيمان أنها الوحيدة التي تستحق لقب البطل بفعلها ذلك، لأننا لسنا أكثر من هاربون، وهي تعي ذلك تمامًا. لم يكن لدي كلمات أواسيها بها، فقط التزمتُ الصمت حتى حضر ذلك الراهب النجس، بل وكأنه كان يستمع لمحادثتنا منذ البداية.

- ولكن أيتها الفارسة، لسنا ذاهبين حقًا لقتل عصيدة. هذا ما حصلتُ عليه موافقة من الملك، سنقابل تلك الشيطان الهائج، ولربما تكون هناك طريقة

نعيدها بها إلى رشدها، هي فتاة جيدة كما قال، والأبطال يدركون مصيرهم دومًا حتى لو انجرفوا قليلًا عن خيط الصواب.

- الوحوش الهائجة هي وحوش ساقطة، ريانة لم تستيقظ أبدًا من سباتها رغم إصرار قطينة على إنقاذها. إن كنت تريد إيقافنا بألعابك على لسان الملك، فسوف أطلب من سيادته رفض خروجك معنا!
- احترم مكانتك أيتها الفارسة! أيتها الخادمة! كلماتك تلك أثم ستحاسبين عليه!

هذا هو حالنا، نحن الأبطال العظماء، رفعت روبي سيفها مغادرة، وخرجت معها، وتركنا ذلك النقاش الحاد الذي دار بينهما لساعات حتى عدنا مع شروق الشمس وهما لا يزالان مستمرين، ومن ثم التقينا مجددًا على البوابة للخروج، خمستنا، فأتذكر تلك الأيام القدام عندما كنا نقاتل، رغم اختلافاتنا العقائدية والحزبية، لأجل الإنسانية، لحماية الجنس البشري من الفناء، أغمضتُ عينيّ على ألوان دوار الشمس الصفراء رفقة رائحة العشب المعطرة، كان الهواء أطهر من مظاهر الجبال، وقصائد الحمام غطت بالفعل جثث العالقين، يؤلمني أننا ما زلنا على بعد سنوات من العودة لهذه البلاد العظيمة، ولكننا سنعود يومًا للحمراء، مملكتنا. عندما فتحتُ عينيّ من جديد لم نكن بعيدين عن هدفنا، والإنجاز السريع هذه يشعر بالملل، أين صراعات منتصف الطريق التي اعتدنا عليها؟!

ضغطتُ على خيلي قليلًا حتى وازى روبي، حينها شددت اللجام لأقصى حد، رفع أقدامه أمامها بكل هيبة، ومن ثم سابقنا الرياح نبعد عن الجمع، مضحك، لأبعد حد، نعم! شعور الهواء هذا، والابتعاد عن المسار الأصلي، منحني جرعة غير طبيعية من الاطمئنان، وتبعني فاليان وروبي بعد دقائق، حتى تخطينا بالفعل سيماه دون أن ندرك، ولم يوقفنا غير بحر رمال صبرجاه وكثبانها.

- لقد ابتعدنا كثيرًا! يا إلهي، ستغضب ديلارا كثيرًا.

- لقد ظننتك القائد يا فاليان لا ديلارا!
- وبالفعل، ولكنها من تخطط لهذه العملية.
- (روبي) فاليان! اللعنة على المهمة! نحن من يقرر سير العملية، ونحن من سنقتل تلك العجوز، لا توقف خيلانا من الاستمتاع وخلايانا، نصلانا حارين بالفعل.
- (فاليان) لن أنتهي من مناقشتك! رولاندوس وروبي، دعونا نترك هذه الألعاب فقط الآن، ونقتل عصيدة معًا، خمستنا، ومن ثم تتحررون للأبد من فليريا!
- كما يقول فاليان، دعونا نعود منتصرين الليلة دون مشاكل! ... الشمس بدأت تغرب، لا يجب أن نتأخر على ديلارا، لابد أنهم وصلوا إلى سيماه بالفعل وبدأوا القتال بمفردهم.

دخلنا المنطقة وألوان نيرانها في السماء، لقد كانت المعركة محتدمة بالفعل. أخفضت روبي ظهرها مسرعة بحصانها، بكل فخر تخطتني مجددًا، حتى وصلتْ إليها، قفزت عن الحصان ووقفت على منجل ديلارا، رفعتها للأعلى نحو السماء كالعلم، ومن ثم سقطت نحوها بنصلها الضخم كالشهاب، من بعيد رأينا الدماء تناثرت من حولها، لقد نجحت روبي بالفعل بقطع يدها اليمنى فتقع وسلاحها، حينها ظنت روبي كالجميع أنها قد نجحت بهزيمتها، فتلوح بضربة نهائية نحو رأسها، ولكنها لم تكملها، سحبتها ديلارا بمنجلها بعيدًا عن جثة ذلك الوحش الهامدة في اللحظة الأخيرة، فقد نشرت مخالبها بجنون بينما تصبح كائنًا مشوهًا، بجنونها تغير شكلها البشري، ليست أقرب الآن لتنين من كونها مسخ بريش وأجنحة ويد واحدة، حلقت نحو الشرق بعيدًا، ولكن، وفي مشهد الختام، تقدم فاليان بأحد سهامه، وبتعويذة التصويب لأوريون، كان كالبرق الخاطف مسقطها أرضًا في الغابة، إنها الآن في الشرق، أينما ستكون وجهتنا التالية.

- (ديلارا) كان ذلك دخولًا عظيمًا يا روبي! أحسنت صنعًا.

- (روبي) كان عليكِ تركِ فقط أقطع رأسها، لقد كانت لحظة واحدة فحسب...
- (فاليان) لولاها كنت ستتحولين إلى قطع. لا تقلق! لابد أنها تنازع الموت بذلك السهم، ولولا أني أشعر بالملل في فليريا لكنت أنهيت المهمة هنا.

هؤلاء هم الأبطال، لم أنطق بكلمة مجددًا، اكتفيت بالمشاهدة من بعيد، فإن كانت هذه المهمة ما سيصلح علاقتنا القديمة، فسأستمر دون تعليقات إضافية غير ضرورية، كَمُشَاهدٍ ما لم يحتاجوا إلى درعي وسيفي النحيل، الأمر هكذا فحسب مناسب بالنسبة لي أكثر.

(2) رافقيني لأجد قلبك

أعادتْ الكأس إلى مكانه الأصلي على الطاولة، ومن ثم قالت:

- سأعدُّ آخر لي، أتريد أن أعدَّ لك كأسًا أيضًا؟
- يكفيني ذلك الكوب الصغير، ما زلت أرغب بالنوم.

كأسي أمسكتْ وكان بجانب خاصتها، يشابهه بكل صفاته إلا أنه لم يعتاد طعم القهوة بعد، أبيض العمق، ابتسمت متحرشة ورأسها لا يبعد عن رأسي سنتيمترات، وهمست:

- أكانت قصتي مملة لهذا الحد؟
- لو كانت مملة لوجدتني نائمًا على الطاولة.
- أهذا يعني أنك ستشرب معي كوبًا آخر؟
- اكملي فحسب! أريد معرفة ما حصل لذلك الوحش.

***

دع تلك الألحان المتناسقة تكمل مسارها، ليس وكأنني كيان يمكنه إيجاد معنًا لما حصل، ولأنني في النهاية سأتخيل نفسي جزءًا من تلك الليلة مهما سيحدث، وأرحل بعيدًا من بعدها عن أرضنا البيضاء الرمادية بالرماد، وعندما توقفني على بعد أميال، وعندما أصل إلى ذلك الجدار متذكرة حينها ما قامت به نفسي بظهرٍ مقوس لا يستطيع حتى حمل سيفه العالق خلفه خوفًا، سأتقدم، قاطعة يدك راكضة بعيدًا، متخلية عن المعاني التي حملتَها لي من الديار، جالدة نفسي حتى أصنع خريطة من دم قدماي ترشدني نحو الحرية، وسأتجمد، لأنني وصلت دون وعي إلى أقصى الشمال بدلًا من أقصى الشرق، ورغم أن كلتا المنطقتين يغطي العشبَ فيها الثلج، ولكن أحداهما طاهر يغسل الذنوب، والآخر لعنة يقوم بتنجيس قلبك لأدنى مستوياته، ولحسن الحظ، لم يكن لدي قلب حينها.

تناجت يداي للسماء، فقد كانت الشيء الوحيد الذي يمكنني رؤيته من نقطة نومي متمنية أن يهضمني الثلج عميقًا، ولكن حينها سطعت الشمس مناقضة لدعائي، وبدأت رائحة العشب تنتشر أكثر حتى ساق الماء رأسي أن يناظر مواضع أخرى غير تلك الغيمة، كخروج ذلك الأرنب من جحره في الشجرة، وخروج ذلك الغزال من كهف الجبل، ورجوع الحياة لكل صخر وزهر، فابتسمتُ، شعرت بالاطمئنان، شعرت بشيء وأنا لا أملك قلبًا، فجاب سؤال ما تبقى من خلايا بداخلي، كيف لكائن غير بشري أن يملك مثل هذا النوع من المشاعر تفيض لعقله، كيف لشخص ولد من رحيق موت وبذرة جحيم أن يصنع نوعًا كهذا من الكائنات يملك إحساسًا بالوجود، يملك قيمة، نعم! كيف لي أن أمتلك قيمة وأنا على هذه الحال؟ هذا هو السؤال الذي قلته عندما ظهرت، بعيونها المتحمسة وشعرها البرتقالي المتألق، تظن أنها الحاكمة لأول وهلة حتى ترى عمق قلبها، هي لا تملك شعلة قوية بداخلها، ومجردة من قوتها، أملعونة كانت أم مختومة؟

- وما علاقة حالتك بقيمتك، انظري إلى نفسك فحسب! أنت تملكين عينين حازمتين أشد ثقلًا مني، ومن خلالهما يمكنني رؤية مستقبل مشرق لهذه القارة.
- ما علاقة عيناي بكون المستقبل المنتهي مشرق أو بقيمتي؟
- لا أدري حقيقة، ليس وكأني أملك إجابة لمثل هذه النوع من الأسئلة. أليس هذا مضحك. تايم! وأنت؟ - اسمي؟ ... لقد كان ديلارا.
- حسنًا! أيتها الفتاة ديلارا، سنذهب إلى مكان بعيد لنجد قلبك المفقود، هل سترافقينني خلال هذه الرحلة؟ هل أنت جاهزة لتصبحِ حاكمة العوالم القادمة؟

حاكمة للعوالم؟ لم أفهم ما كانت تتحدث عنه حينها، فلم أكن غير فتاة هاربة من الموت الحتمي، تاركة الجميع يلقى مصيرهم بعد ما ضحَّت بقوتها للشيطان، فقد لقت البطلة حتفها

ولم يستطع أحد إيقاف الطوفان، ماذا كان اسمها، صقيبة؟ ولكنني لم أرفض عرضها، إن كان باستطاعة هذه الفتاة فعل شيء ليساعدنا، فلِمَ أوقفها؟

- ولكن عذرًا، لم تختارني السماء بطلة لأحكم العوالم، لذا سأرفض هذا الجزء من عرضك على الأقل.

لا أدري ماذا فعلت تلك الفتاة، ولكنني نهضت عن أرض الجليد مجددًا مع سطوع الشمس، من تلك البقعة، وكأن كل ما حصل سابقًا ليس أكثر من حلم طويل، هذا ما برز من أبراج فليريا التي سقطت سابقًا، ها هي تحتل السماء بكل كبرياء واستعلاء، قد كانت السماء أجمل بدونها. مشيت خطوات للأمام حتى تذكرت شيئًا، إن كانت الأبراج قد عادت، ألا يعني هذا أن عصيدة لم تمت بعد؟ ألا يعني هذا أنني وصقيبة لم نقتل حامية واتحادها؟ وأن صقيبة لم تذهب بجيشها المهزوم إلى الشرق من دوني!! هل أعادت تلك الفتاة الزمن؟ نجد قلبًا؟! هل ما كانت تعنيه هو منحي فرصة لإصلاح هذا العالم!

كلمات أغنيتها بدأت مع ابتسامتها العريضة بعدما روضت بحصانها العالم آنذاك، من منطقة إلى أخرى، الأمر بأكمله أشبه بعودتك لحفظك القديم بعد ما أنهيت اللعبة، تعلم حينها كل شيء قادم، ولكن لا يؤدي هذا دومًا إلى إصلاح مصائب تقدمك السابق، بل أنت فقط ستخلق مسارًا جديدًا من الأحداث الغير مرغوب بها، والتي بحالتها خلقت بقدرة نكرة حرة، وبعد أول تغيير في المسار، ستكون معرفتك اللاحقة بأكملها دون فائدة، فقد صنعت عالمًا آخر بفعلتك تلك. لقد اختارت استغلال تلك الفرصة بإنقاذ عصيدة، لقد آمنت أن التغيير الأفضل سيكون بتغيير تلك النقطة، أن تكون هي البطلة بدل صقيبة، ومن ثم الحصول على كتاب الختم الضائع في ريام ليكون ورقة نهائية إن لم تستطع حقًا عصيدة إيقاف الشيطان الأعظم، خطة متكاملة بنتها في رأسها، وعاشتها، حتى وقادتها، ولحسن حظها، كل شيء سار على ما يرام.

لقد كنا وحيدين عندما وصلنا سيماه، لم ألحظ ذلك حتى علمت بوصولنا إلى هناك واجدة الجميع قد رحل، مغلقة عيناي كالمعتاد قد كنت، ليس وكأنني ألقيت أي اهتمام لذلك، ومع أول نظرة لتلك المدينة وجدتها أمامي، هي لا تستحق لقب عصيدة حتى، فهذه ليست تلك الفتاة التي رافقتها، ما جعل الأمر أسهل علي أن أبرز منجلي، والقلب الذي منحتها إياه لم يعد بحوزتها، لا باقي أعضاءها رغم تحذيري لها، ليس وكأنني ألقيت أي اهتمام لذلك أيضًا.

- حاولِ إغلاق طريقها، سأحاول أعادتها إلى رشدها.

وجهتُ المنجل نحوها بزاوية مستعدة، ومن ثم نظرتُ إليه بنظرة غير مبالية قائلة:

- ليس علينا محاولة ذلك، ما يقف أمامنا الآن ليس بعصيدة.
- أيتها الفارسة! أنت هنا لتنفيذ الأوامر!! فأنا..
- فأنت؟ (ضحكت باستخفاف حينها) لن أعود لفليريا بعد انتهاء هذه المهمة، أنت لا تملك أي صلاحيات علي بعد الآن، أيها الحشرة! لا أصدق أنني يومًا كنت أقاتل بجانبك، أوريون، لقد تغيرت كثيرًا منذ افتراقنا.

لقد كان مشهد تعابير وجهه الغاضبة رائعًا حقًا، لدرجة أنني كنت سأفضل عدم مقاطعة النيران لنا واستمرار هذا النقاش الذي هو أشبه بحديث أطفال عن القتال، ولكن كان علينا الهجوم بشكل جدي على ذلك الوحش، ليس لقتله، بل لمعرفة ما حدث لها حقًا وقادتها إلى هذا التغيير في أقصى الشرق، فإن كانت حقًا قد قضت على ملك الشياطين، فهذه الأحداث ليس لها مكان من الأصل، وكان سينتهي بي في أقصى الشمال كالسابق.

دخلت روبي بكل قوة سيفها، وأنهت ذلك الكابوس تقريبًا قبل أن يصبح كابوسًا حقًا، ذلك الشكل الذي تحولت إليه، جسدها تم التلاعب به عبر سحر ما، الأمر واضح وضوح الشمس، وعندما تضررت العبوة التي تحتوي شكلها الجديد، حينها ظهرت على حقيقتها، مسخ يحاول جاهدًا أن يصبح تنينًا، يا لسخرية الأمر.

لقد تقدم حتى أصبح موازيًا لحصاني، فتحت عيناي ونظرت نحوه، فأنزل رأسه تحية، وكالعادة يمتلئ قلبي بالدفء فور فعله لذلك، ما يجبرني على سماع كلماته.

- أيتها السيدة ديلارا. ما رأيك بالأحداث السابقة؟ أعني، لا نرى هذا النوع من التحولات كل يوم.
- ما زلت أفكر بأمرها، ولكن كل ما يمكنني استنتاجه هو أننا نقاتل عدوًا أقوى بكثير من عصيدة، وبما أنها حلقت باتجاه الشرق فهذا يعني أن سيد هذا الوحش هناك، لذلك كن جاهزًا أنت وروبي لمعركة ملحمية قريبة.
- معركة ملحمية؟ أليس عليك إعلان هذه الحالة إن كنت متأكدة مما سيحصل؟
- هيا يا رولاندوس! أنسيت كيف يكون طعم الألم؟ دعنا نستمتع قليلًا في قتالنا الأخير، بل أنسيت كيف كانت معركتنا النهائية السابقة؟
- عندما حوصر خمستنا بين جيش من الفرسان السود، لا يمكنني نسيان تلك اللحظة أبدًا، لقد كنا كالأبطال حقًا حينها، ليس كما نحن الآن.
- لقد كنت هادئًا عندما أسقطتها روبي، هل أمر خلافاتنا الحالية هي ما يزعجك؟
- بل على العكس تمامًا، لقد رأيت حينها أن علاقتنا بدأت تلتحم.

يا لها من نظرة مشرقة سأقوم بتخطيها فحسب، فهي متناقضة في عمقها متفائلة في سطحها، وسأغلق عيناي كما لو لم نتحدث، لعل يومًا يأتي يتحقق فيه بعد نهاية هذه المغامرة ما يتمناه، أن نعود معًا كفرقة حاربت سابقًا الشر العظيم، هذه المرة لبناء الحمراء.

الأمر أضخم بكثير مما قالته ديلارا، يمكنني الشعور بذلك أيضًا، هناك سحر غريب مزروع وسط الأشجار يتربص بحركتنا، بل الغابة بحد ذاتها أصبحت نظيفة أكثر من الزائد، شعور الهدوء والهواء البارد يدمرا عقلي، ما لا يترك لي خيار سوى التفكير في خطة ب احتياطية، تشمل حماية روبي والتضحية بالباقي. وعلى الرغم من ذلك هناك أمر آخر يشغل تفكيري، لقد غادر أوريون بعد شجاره مع ديلارا ولم يعد حتى الآن، هو ليس من الأشخاص التي لا تهتم بالعودة خائبة، إلى ماذا يخطط ذلك العجوز؟

- يبدو رأسك مشغولًا جدًا! هيا يا رجل، لقد شارفت المهمة على الانتهاء، أتريد الركض بعيدًا؟ أناملي تحتاج شعلة من النشاط.
- ألا يمكنك أن تسكني قليلًا؟! روبي؟ ها؟ هل انتهى حديثك مع فاليان؟
- هي! هاي!! هل تشعر بالغيرة الآن من التحدث إلى رجل غيرك؟

إنها تحاول استفزازي، ولكن طريقتها في طرح الأمور أشبه بمحاولة افتعال شجار.

- أتريدين نزالًا سريعًا؟ - على الأحصنة؟
- فكرة جديدة جيدة. - ولكنك ستخسر هذه المرة.
- يا لها من نظرة واثقة. - لقد كنت تستغل فترة ضعفي ذاك اليوم.
- فترة ضعفك؟ ظننت المشكلة بعضلاتك حينها. أيمكنك أثبات العكس؟
- بالطبع.. سأسحق عظامك هذه المرة!!
- (ديلارا) يمكنني أن أشهد على قوة روبي! لذا وفرا طاقتكما للقتال.
- (فاليان) أقدام الأحصنة على الثلج الآن تظهر الدماء التي غُطت، نحن نقترب. يبدو أنها سقطت هنا وبدأت بالزحف.
- (؟) هل كنتم الأبطال حقًا وتسقطون في الفخ بهذه السهولة؟! يا لكم من مجموعة من الحمقى! سيعاقبكم العظيم الآن على ذنوبكم!

ما.. ما الذي حدث فجأة؟ وكأن الأوصاد أغلقت على يداي وقلبي، إنها مؤلمة ومعجِزة، لا يمكنني حتى تحرير لساني لأنطق جدالًا، ومعذِبة، من أين له هذه الكم من الطاقة ليصنع هذا النوع من الدوائر السحرية الضخمة؟ سحر ختم؟ هذا أقرب تشبيه له، يختم أرواحنا وطاقتنا بصورة مؤقتة، فكيف له هذا؟ ولماذا أستدرجنا إلى هنا تحديدًا؟ هل هناك علاقة بين هذه المنطقة وتحرير الطاقة السحرية؟

- (ديلارا) أيها اللعين أوريون! الغي هذا السحر فورًا ودعنا ننهي هذه المصيبة.
- كل ما يحدث الآن بسببك أيتها الشيطانة، هنا سيتم تطهيرك، بثلج المذنبين.
- (ديلارا) أشعر بالأسى لظنك أنه بإمكانك ختمي، فالقلب الذي لدي أقوى بكثير من أن يختم بسحر تنين وضيع كالأساس.
- هذا مستحيل!! القلب بحوزة عصيدة، لقد رأيته، لقد لمسته.

وفي مشهد الختام، لم أرى ديلارا بهذه الملامح الجادة من قبل، كانت مرعبة لأقصى حد، وهذه الهالة، لقد قطعت يدها بكل استخفاف لتكسر القيد، ومن ثم تركت المنجل أرضًا والدم ينهمر منها، ورفعت كتابًا كان بحوزتها، ألقته في السماء دون أن يسقط، وبأصابعها حركت الصفحات دون لمسها حتى أوقفتهم على الوسط، حينها بدأت تتلو ترتيلة فريدة، يا من أعطانا الحياة والروح والجسد، وخلال ضحكات العجوز اللامبالية لعلمه أن هذا الختم لا يؤثر حقًا على البشر، سيف ضخم دخل عميقًا وخرج من جسده، سقط على ركبته بينما الدم يغادر، من هذا البطل الذي حضر الآن؟! وبمصادفة غريبة، كانت عصيدة، بل الوحش المسخ الذي تحلل فور سقوطه، وحينها فك القيد أيضًا.

- لا أصدق أن أوريون من كان يتحكم في عصيدة كل هذا الوقت!
- (ديلارا) ومن ثم تعارض سحر الختم مع سحر التحكم، يا لسخافة هذه النهاية.
- (فاليان) ديلارا!! يدك تنزف بشدة! أيمكنك الهدوء لحظة لأراها؟!

الأمر حدث بشكل مفاجئ فحسب، وعاد لمساره الأصلي الآن، كيف غاب الأمر كليًا عن بالي حتى حدث ما حدث؟ هل أنا أسيء تقدير الموقف للمرة الأولى في حياتي، "وبدأت تلتم" قد أخبرتها؟ بل كانت تنجرف نحو هاوية، وهي كانت ترى ذلك وتتجهز لمقابلته على عكسي، اللعنة! لقد أخبرتني بذلك صراحة، فلماذا اعترضت؟! رفعت يدي ناظرًا إلى كفي كيف أصبح ناعمًا مع مرور الوقت، وفي ذات اللحظة أعبس مع تخيله مليئًا بدماء الوحوش كالسابق، وآلاف المعارك التي خاضتها، أجبنتْ؟ أأصبحت ثقيلة الهموم رافضة طاعة مالكها، أغلقتْ على نفسها، ومن شدة إحكامها كانت على مقربة من شق لحمي بأظافرها، ولم يرفض عقلي القرار خلال مشاهدتي، فما كانت غير عائق لهم في النهاية، فحتى روبي قد كان لها يد وأنا لا، بل كانت هي بطلة هذا المساء على الأرجح.

حينها ظهرت تلك الأيادي ممسكة بمعصميَّ، ما أرغمني على رفع رأسي لأرى نظراتها ذات الحرارة العالية ولمعان عينيها، تنزلها للأسفل وقطرات الدم، ما أجبرني فورًا على الاقتراب منها وحضنها بقوة.

- لا أدري إن كان هذا شعور سعادة بتحررنا أو ببقائك إلى جانبي حتى اللحظة.

يمكنني سماع صوت بكاءها وهي بهذا القرب مني، أهذه ما يطلق عليها دموع الفرح؟

- لقد انتهى الأمر، أليس كذلك؟
- هذا صحيح، من المفترض أن تكون الوحوش قد اختفت كما حدث لعصيدة.
- ولقد عادا إلى فليريا تاركين كلينا للأبد؟
- هذا صحيح، لقد وعدنا فاليان بتركنا فور انتهاء المهمة. مع أنه كان من الغريب ترك ديلارا لنا نكمل الرحلة والتأكد من وجود التاج بمفردنا.

أتدري، يبدو الأمر غريبًا حقًا عندما تتلفظ به، هي متأكدة تمامًا الآن من وجود التاج هناك في أقصى الشرق بما أن عصيدة لم تحصل عليه، لماذا تركته لنا؟ لروبي تحديدًا؟ وماذا سيحدث بعد أن تحصل عليه؟ لم تذكر النبوءة شيئًا من هذا، أستختفي؟ كيف ستحكم؟ بل ألا تعتبر روبي أيضًا وحشاً بعينها الفضية؟ أوه... اللعنة! اللعنة!!

- روبي! أريد منك مصارحتي الآن. هل رأيت على إحدانا هالة موت؟!

هذا واضح! كيف لم أنتبه لهذا! حديثها! كيف نسيت أمر قدرتها؟!

- ما زلت على وعدي بعدم كشف الغطاء عن عيني، ولكنه انزلق بعدما فك الختم عنا، حينها رأيت هالة موت على كلينا من بين الجميع. أعني! إن كان الأمر قد انتهى بالفعل كما تقول، فماذا يعني هذا؟! ماذا يعني هذا الآن تحديدًا؟!

هذه الحالة المأساوية التي سقطت بها هي ما كنت أتكلم عنه، سوء هذه القدرة، سيئة معرفة موعد موت الآخرين، وستتساءل: أيمكنك إنقاذهم أم أصبح الأمر مصيرًا حتميًا ستشهده فحسب؟ وتخيل رؤيتها حولك فيما بعد، سينقلب الأمر فورًا لصرع عنيف. ما هذا الهراء الذي أتمتم به الآن تحديدًا؟! فحتى أنا سأموت في أي دقيقة الآن، أحقًا نفسي مستسلمة إلى هذا الحد؟ أم أن الموت برفقتها لم يعد يعني لي شيئًا؟

- أنا لا أحاول مواساتكِ أو شيء كهذا، الأمر فقط لا يدخل عقلًا.
- ماذا تقصد بكلماتك؟! عيني لم تخطأ أبدًا من قبل، وأنت أكثر من يعرف هذا!
- لا يمكن لأي أحد الوصول إلى هنا بتلك السرعة، وأنا متأكد أن ديلارا وفاليان لن يعودا، ولا وجود للوحوش، لذا إن لم نقتل بعضنا البعض فلا يمكن أن نموت خلال اليوم كما تخبر عينك، ربما قد أصابها شيء بتأثير الختم أو بتعويذة التاج.
- (همستها) هذه هي المرة الأولى التي أتمنى فيها أن تخطئ عيني حقًا.

وبعد دقائق، وكنت قد انتهيت من تجهيز المخيم، هدأت أخيرًا. لا يمكنني تصديق أنها تجاوزت الأمر بكذبة بيضاء سخيفة لم أتوقع أبدًا أن تصدقها، أعتقد الأمر، كيف أصيغها.. تصدق النفس الأكاذيب البسيطة لتمسك حبل الأمل المزيف هاربة به من الواقع المرير الذي قد تعيش فيه أحيانًا، حتى إن كانت غير مؤمنة إطلاقًا بتلك الكلمات. جلستْ بالقرب مني وحضنت ذراعي بشدة، يمكنني الشعور برغبتها الجادة في الالتصاق بي حتى نهاية اليوم، ولن أقوم بمنعها حتمًا في مرحلة كهذه. وعلى الرغم من مرافقتها لي منذ فترة طويلة، هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها هذا الجانب من روبي، عادة ما تكون جامحة غير مهتمة بأي شيء، بشجاعتها وعدم مبالاتها، هي لم تبرز هذا الكم من اللطافة لي أبدًا، والآن، وبعد انتهاء الحرب والموت، كيف يمكنني عدم تقبل رؤيتها دومًا هكذا. لقد لفتها أمر تحديقي، فتنظر نحوي بعينيها الواسعتين كالقطط متسائلة.

- لن أتمكن أبدًا من طهي الطعام والحفاظ على الشعلة بيد واحدة، أيمكنني الحصول على اليد الأخرى؟
- لستُ جائعة ولا أنت طبعًا، ألا يمكننا فقط إطفاء النار؟
- أنا أتجمد واللهب قرب قدماي، كيف برأيك سنعيش هنا من دون نار؟
- فقط قم بإطفائها! أتوسل إليك! دعنا نمضي هذه الليلة دون فعل أي شيء، فقط حتى الصباح. لننم الآن وسأدفئك بجسدي، ولنؤجل أمر المهمة فقط للغد.
- لم أتخيل أبدًا أني سأموت متجمدًا، يبدو أن عينك لم تكن مخطئة في النهاية.

لم ينم أي منا حتى أشرقت الشمس رغم شدة إرهاقنا، وحينها سمعت تنهيدة روبي قبل أن تسقط فورًا مطمئنة، وعلى الرغم من ذلك لم أستطع النوم، لأنني لم أصدق أبدًا أن التهديد المجهول قد اختفى، ولن أُكذِّب عينها أبدًا، لذا فضلت البقاء في الخارج وقتل الوقت عوضًا عن اتخاذ أي قرار، فقط رؤيتها من بعيد بذلك الوجه الساكن اللطيف.

***

القصة تقترب من النهاية حتمًا، وكأس قهوتها أيضًا، وضعته للمرة الثانية على الطاولة لتعد ثالثًا، يا إلهي! هذه المرأة لا تعرف حدودها، وسيموت عقلها إن لم أوقفها، غادرتُ مكاني عن المائدة، وأمسكت كأسها، حينها نظرتْ إلي بنظرة استفسار، وكأنها ستخدعني بها.

- أين هي الجزئية المرعبة في القصة إذن؟ بدأت أشعر بالملل، ولا أريد حقًّا أن أطيل هذه الجلسة لتشمل ثلاث أكواب كبيرة من القهوة، يا سيدتي.
- يا لها من مصادفة، هو يبدأ الآن تحديدًا.

كانت الليلة قد غربت بالفعل، وتوقف الثلج عن السقوط حتى أصبحت الأرضية خضراء تدريجيًا، وبين الأشجار سرى هناك وادٍ طويل مغرقًا بيوت الأرانب، وشعور الدفء الذي لا ينسى، هذه المنطقة انتهى دورها المتمثل باختيار البطل وتحديه، وأصبحت في ليلة وحيدة صورة من الجنة. منذ تلك اللحظة، لقد بدأت أرى هذه القصة من منظور آخر، وكأنني انفصلت عن الحكاية وتحولت إلى دخيلة، هذا تحديدًا ما شعرت به، بدأت أتحرك بإرادتي، أرى بعينيّ وألمس بيديّ العناصر المحيطة، ولكن لم يكن بمقدوري التأثير عليها، فاستنتجت فورًا أنني لست أكثر من دخيلة دعيت لمشاهدة هذا الجزء من العرض.

خرجت روبي واضعة على نفسها قطعة قماش بسيطة تحجب بها جسدها، تقدمت حتى من الخلف دفعت بجسدها ذلك الرجل الهادئ، عينيها الحمراء والفضية كلاهما كانتا تحبسان الدموع، ولكنها لم تكن حزينة البتة هذه المرة، استقرت عليه حتى اندمج ظلها بظله متحولًا لواحد لا غير، ومن ثم همست بلطف في أذنه:

- لم يكن عليك الخروج تاركًا إياي وحيدة في الداخل، ماذا لو أصابني مكروه فجأة؟ من سينقذني حينها؟

- خُيرتُ بين رؤية جمال الخلق أو الطهر، ففضلت ولادة عالم على ولادة طفل.
- هيا!! ما هذه السخافة التي تتمتم بها؟! مهرج فظيع!!

انتشرت الضحكات وطال الحوار، كانا حقًا مناسبين لبعضهما البعض، كنت آمل أن أبقى هناك لمزيد من الوقت، لأرحل معهما، ولأراهما يصنعان الحمراء، ذلك العالم الذي لطالما حلموا به، ولكن، وبينما يمتلئ قلبي بدفء تلك المحادثة، رأيته بكلتا عيناي، خرج من عتمة الغابة وكأنها لم تكن مضيئة قبل قليل بنور الشمس، بهيئته ناصعة البياض، وبعينيه الفضيتين المسودتين اللتين مع اختلاط النور فيهن يصنعان رسمة من بكاء طفل بداخلهن امتد لألاف السنين، وفتاة صغيرة هربت في السابق، تقدم نحوهما متجاهلًا وجودي بالكامل، ولم يشعر به أحد منهما، ما جعلني استنتج أنه لم يكن له وجود أيضًا، مثلي تمامًا، رفع ذراعه في السماء بمخالبه الشبيهة بالشفرات القصيرة، ومن ثم غرسها بكل سادية داخل كِلا جسديهما، قاطعًا قلب الأول قبل أن يسحبها ناشرًا دماءه في كل زاوية، والأخرى تسقط على الأرض ضعفًا وألمًا.

صعقتُ من المشهد حتى انقطع نفسي، وعدت خطوة ساقطة خلالها على الأرض، فكيف له ذلك؟ إن لم يكن له وجود في مسار هذا العالم القديم، هذا الحلم، فكيف له بالتأثير عليه؟ إن لم يكن أكثر من مشهد مسجل أراه من الماضي، فكيف يمكنه ذلك؟! حينها لاحظت زحف تلك الفتاة الساقطة نحوي ببطء، ملطخة العشب الطاهر الذي تحتها بما تبقى لديها من الدم لتعيش فيه، زحفتْ حتى تخدرتْ عضلاتها فتمد يدها راجية متوسلة.

- أيمكنك رؤيتي؟! هل... بل منذ متى؟!
- أرى الموت يحيط بكامل العالم، أراه بوضوح الآن، ما عداك أنتِ، نورك يعكس الموت، نورك يوقفه ويلقيه بعيدًا. إنهما عينيك، يمكنهما رؤية خطوط العوالم بوضوح، ليس بواسطة الموت مثلي، بل بالحياة والقدر والزمن، ما يجعل من

المستحيل أن يملك الموت شجاعة ليقترب منك أو يقابلك. إنه يسعى للحصول عليك، إنه...

وفي مشهد الختام، أمسك رأسها بالكامل داخل قبضته رافعًا إياها للسماء، وبذيله ألقى بكامل جثتها بعيدًا، سال الدم منها مغرقًا المكان حتى تحول لون قدماي للأسود، ومن ثم نظر إليها بكل برود وكأنها لم تكن حية أمامه في السابق، ومن ثم نظر نحوي وكأني الضحية القادمة بعدما ألقى بلعبته بعيدًا، أغلقت عيناي وبدأت بترتيل آخر كلماتي، فقال:

- العالم بحاجة إلينا، بحاجة إلي، أنا الأساس والروح، ستعرفين عما أتكلم قريبًا، وحتى ذلك الموعد، استعملِ عيناي أكثر، غذِّ هذا التنين الذي سينقذ عالمكم من الحكام المزيفين الذين يقودون السماء قريبًا، وإلا الفساد هو ما سينتظركم، أيها البشر.

***

- فورًا نهضتُ عن مكتبي ويداي على رأسي، وقبل أن أستوعب الموقف بدأت أحارب كل ما على الطاولة، حتى تداركت نفسي، فقررت إعداد كأس قهوة لكيلا أسقط في النوم مجددًا وأبدًا.
- أتمنى ألا تقابلني أحلام كتلك، من المحتمل أن تصيبني نوبة قلبية من مشهد النهاية وحده.
- الأمر فقط يصبح معقدًا أكثر مما أتخيل، فكلما علمتُ شيئًا جديدًا عن هاتين العينين، يراودني الفضول والحيرة إن كان استخدامهما إيجابيًا أم لا.

هو ليس أكثر من كابوس، هذا ما ختمت به محادثتنا تلك، ابتسمت حينها ابتسامة خفيفة وكأنها رغبت حقًا بتصديق ذلك، ولكنها تعلم تفاصيل الحلم أكثر من أي شخص آخر.

الفصل الثاني عشر: القطة الضائعة

(1) لحظة الغروب

كان فاقدًا الأمل حتى نخاعه، خاسرًا، ولكنه وقف ساحقًا كامل كبريائه، بملامحه الجادة التي انعكست بوضوح على زجاج الكؤوس الموضوعة على الطاولة، ووجهه العابس الخائب أيضًا، ورمى تلك القطعة النقدية التي صوب الجميع بنادقهم نحوها فور علوها، وبسم، وقبل أن يظهر وجهها بين كفيه كان مغلقهما.

- هل ستلعب؟ اختيار الوجه الصحيح يعني أنني لن أغادر من هنا حيًا.

وجه إليه الرجل العجوز نظره، ومن ثم شاح به إلى كأسه الذي يدور فيه السائل العالق في قاع الكأس، ولكنه تمسك بعدم إعطاءه جوابًا، فتصبب الآخر عرقًا، ولكنه حافظ على ابتسامته الموزونة المزيفة رغم التوتر الذي نال قدميه.

- وهكذا أنتم يا رؤوس الأموال دومًا ما تجعلون الأمر مملًا، أين المشكلة بحرق بضع ملايين للحصول على متعة من مهرج مثلي؟

نظر إليه بتعجرف فور سماع كلماته تلك، فحصل على تركيزه لأول مرة منذ بداية المساء.

- أتقول أن بإمكانك الهرب مهما كانت نتيجة اللعبة؟! ألا ترى كم سلاحًا موجهًا نحوك الآن، ولو هربت من هنا، كيف ستجد لك مكانًا في الخارج بعيدًا عن أعيننا، وكيف ستخرج تلك الفتاة، أيها الشيطان جـ، بل أيها المهرج جـ.
- الأمر بسيط، عندما أفتح يديَّ تفعل خدعة سحرية تسمى: لن تراني لاحقًا.

وكما عنت العبارة، رمى القطعة مجددًا مختفيًا تحت بساط العتمة، أطلقوا النار نحو المحيط حتى لم يعد من الجدران ما هو سليم، وعلى الرغم من ذلك، لم يعد له أثر في المكان.

فتح باب الشقة عليها وهي تمسك كأس القهوة متجهة إلى حديقتها، توقفت هناك للحظة فور رؤيته لتلقي التحية رغم انشغال كلتا يديها، ولكنه فقط جاوزها متألمًا نحو غرفته وقطرات الدماء من خلفه تعبئ أثار أقادمه، ما ترك طبعات حمراء قاتمة وحادة اللون على سجاد الأرضية، حينها فضلتْ عدم مغادرة تلك الرقعة، رافعة القهوة نحو شفتيها لبضع ثوانٍ، ومع رمشاتها الناعمة على وجهها منعدم المعالم، قررت أخيرًا، بعد ما أنهت قهوتها، أن تقعد بجانب الباب. جلست هناك فعلًا ضاربة الباب بظهرها لتعلمه بحضورها، وبعد لحظات من الاستماع لتمتمته المتألمة في الداخل، قررت أن تكسر هدوءها وبرودها.

- يبدو أن اليوم كان صعبًا عليك، كما هو علي لسبب ما. أتريد مني مساعدتك في تضميد تلك الجراح؟ أم تريد مني إعداد شيء ما لك لتتناوله؟
- ... أتمزحين! تذوق طبخ فتاة عالقة بين الكتب طوال اليوم تبدو فكرة سيئة!
- لا زلت لا تدري كم تملك هذه الفتاة من قدرات تخفيها عنكم تحت مجموعات الأوراق. سأعد لك كأس قهوة على الأقل، لربما يحسن من مزاجك قليلًا.

بعد لحظة هدوء، فُتِح الباب فجأة ما جعلها تسقط على ظهرها، فيظهر ناظرًا إليها من الأعلى وكأنه لم يكن يعرج برأسه قبل قليل، مكشوفًا أعلى صدرها من القميص وقلادتها المميزة. رفعتْ جسدها فورًا ويدها على مؤخرة رأسها، فيقول متفاجئًا:

- ألم تغادرِ بعد لتعدي لي كأس القهوة؟
- كنت سأغضب من حركتك تلك، ولكن يبدو أن ألم الصداع اختفى بسبب الصدمة. يمكنني أخيرًا أن أنام بسلام!!

ابتسم ومد لها يده رافعًا إياها بكل رفق للأعلى، الأمر بالنسبة له أشبه بحمل قطة صغيرة عن البلاط، وبعد أن رفعها غادر بمفرده ليشاهد ما يعرض على التلفاز.

ظهرت بعد دقائق إلى جانبه بكأسا قهوة، إحداهما صغير والآخر أكبر حجمًا يُعْرف من صاحبه، وبعدما تجرع مقدمة الكأس هزت نفسها قليلًا حتى أصبحت ملاصقة لجانبه، فسُكْب شيء من الكأس على قدميه ولكنه لم يصدر أي رد.

- ربما سأكون فظة فضولية بسؤالي، ولكن.. ما الذي حدث لك اليوم؟
- الكثير كالعادة، ولكن يبدو أنني في النهاية سقطت عن الشجرة مصادفة بينما أحاول مساعدة قطة عالقة لطيفة مثلك.
- وستعود لإنقاذها بحالتك تلك؟ بجراحك وعذابك ومأساتك.
- علي أن أعود، وإلا سنخسر تلك القطة للأبد. صاحبها لن يكون سعيدًا بهذا.
- أيمكنني مساعدتك؟ لن تستطيع العمل لوحدك بهذه الحالة!

سكت للحظة ناظرًا إلى الجانب الآخر، بهدوء وكأنه منغمسًا بأفكاره لدرجة أنه نسي أمر كأس القهوة الساخن الذي بين يديه، بقي عالقًا على تلك الحال حتى قالت بسخرية:

- تعلم أنني لن أتركك تلاعب قططًا غيري. ألا تهتم لهرتك كم تشعر بالغيرة.

ألتفتَ فورًا بضحكة أخرجته من ظلام أوجاعه وقال:

- يا لها من حركة جريئة! أيصنف هذه اعتراف حب يا ترى.
- إن كان هذا يعني قبول مساعدتي لك فاعتبره ما شئت. لقد أنقذتني، لم تكن لك مشكلة إيوائي داخل منزلك الخاص، بل وتوفير كامل احتياجاتي، ماذا أختلف عن قطة ضالة وجدتها وسط الطريق؟ دعني للحظة أتخيل نفسي إنسانة وأساعدك. لربما لا أملك مخالبًا، ولكن لدي أنياب تعض بقوة عند الحاجة!

حينها أنهى المحادثة بابتسامة، لم يكن حتى قادرًا على مقابلة كلماتها الجادة الحادة، فوافق بهزة رأس بسيطة هادئة، وفور رؤيتها له، تبعته بملامح رضى طغت على المشهد تباعًا.

غادرت بالأكواب إلى المطبخ تاركة إياه، لكن وبينما كانت تغسلهم مما تبقى في القاع تجهيزًا لحفلة أخرى، حضر وقد جهز بعض الأوراق الفارغة وقلم حبر ليشرح لها، لم ينتظر حتى أن تنتهي، فور ما بدأت بتجفيفهم لتعيدهم إلى موقعهم الأصلي على الرف، كان قد انهى رسم مخططه وشرح شخصيات قصته، وربما تخيل السيناريو بأكمله داخل رأسه. وضعت بعد دقائق عندما انتهت ذراعيها على المائدة، وانحناء ظهرها في الخلف، منتظرة إياه.

- لا أدري إلى أي درجة قد تكون لك يد في المهمة، سيعتمد هذا على كيفية تعاملك مع الأمور المحيطة فور بدء تنفيذها، ولا! لن تكون هذه المهمة كوضع هوية في وزارة الداخلية كمهامك البسيطة، نحن نتعامل مع جهة لديها جانب عسكري كامل، نحن نحاول إسقاط وزير فاسد داخل الحكومة حاليًا.
- هذا أقل ما توقعته من وضعك الحالي... سامحني على المقاطعة، أكمل.
- يساعدني في هذه الحاجة شخصين بالفعل، إحداهما القطة التي سقطت بالفعل بين أيديهم بتقصير مني، ولكن دون إعلان رسمي، إنه يحاول التلاعب بنا بوجودها داخل أقفاصه، تحديدًا ليعرف من الذي يسعى لرأسه، لهذا سيكون من الضروري إخراجها قبل أن يتغير موقفه الحالي. الآخر عميل سري يعمل لصالح المرشح القادم لذلك المنصب، هو ذاته الذي يسعى جاهدًا لإسقاطه، وهو الذي أتاح لنا كل الدلائل والمعلومات.

قام بتغيير الورقة عارضًا ثلاثة على التوالي بجانب بعضها البعض.

- لا نريد قتل الوزير تحديدًا، فقط إجباره على التنحي من الخدمة، ولدينا بالفعل ورقة مخصصة لهذا. كازينو الشرق، إنه يديره سرًا، ويستغل سلطته للقيام

بإجراءات ضريبية مزيفة، إن حصلنا على وثيقة رسمية من الداخل تثبت ذلك، فستكون كامل الدلائل ملكنا بالفعل، لهذا مهمتنا هي سرقة الحاسوب المركزي.

- سيكون من الأسهل الحصول فقط على الملفات الضرورية، يمكنني فعلها في ثوانٍ، سأحتاج فقط الولوج إلى غرفة الإدارة.

أبعدتْ الأوراق عن الطاولة، وبدأت بالخربشة على الورقة الأولى، ومن ثم قالت:

- ولكن المشكلة الأكبر ستكون بمن يساعدك، ليست القطة، أعلم أنها تساعدك في مهامك منذ زمن، بل العميل الذي يعمل لصالح المرشح، سيكون من الخطير التعامل معه، لأننا لا نعلم نواياه حقًا. الشخص الذي قام بتوظيفك ليس بالطبع العميل أو المرشح، إذن أنتما فقط تتشاركان المخرج، ألا وهو إسقاط الوزير، أو الكازينو في حالتك، ولكنكما لا تتشاركان العملية والمبادئ. دعنا نخرجه من المعادلة، لقد حصلنا على ما نريده منه، وسنشركه في النتائج لاحقًا فحسب.

تسحب أحد الأوراق الأخرى عن الطاولة التي حصلت عليها من الرزمة البعيدة.

- ولكن لدينا مشكلة جوهرية في هذا، فعلى الرغم من أنه سيكون من السهل عبوري للداخل حتى وإن كانت الحراسة مشددة، فمن المستحيل علي دخول غرفة الإدارة بظروف عادية، ولا يمكنني التخيل بعد حالتك العبورية بعد المعركة التي حدثت في الداخل بسببك...
- يمكنني العبور للداخل بسهولة أيضًا، بل وتوفير وسيلة لك للوصول إلى غرفة الإدارة بوقت عدم، ولكن ليست غرفة الإدارة هي مبتغانا الوحيد، أحتاج إلى تحرير القطة التي في القبو أيضًا، هذا ما يجعل المهمة صعبة في المقام الأول.

يبدو أن تلك الخطوة كانت الأخيرة الضائعة في الأحجية التي في دماغها، أخذت تطالع الأوراق لفترة دون أي كلمات، لم تتوقف قدميها عن الحركة طوال فترة تفكيرها، أحيانًا تحاول لفظ المفتاح ولكنها تتوقف بعد تمتمة لم يحاول حتى جاهدًا فهمها، حتى نطقت:

- لقد قلت أنها سقطت بتقصير منك، ولكن الأمر لا يصدق، إن كان من السهل لكما الدخول إلى غرفة الإدارة بحسب تصوري، فكيف سقطت تلك القطة؟
- لقد ظننتك تفكرين بطريقة سحرية لحل تلك العقدة! ... سأجيب، ولكن حتمًا سيكون جوابي سخيفًا بالنسبة لك، كونك ذو عقل كبير لفهم تصرفاتنا الصبيانية. كنا نقامر خلال فحص المكان من الداخل، ولكننا، وبفضل براعتي، حصدنا الكثير من الأرباح حتى شك الأمن بنا، كان لديه معلومات مسبقة حول المهمة فلبست بنا التهمة، ونقلنا للتحقيق.
- كم ألفًا؟ - تسعمئة وكسور. - ولا تريد منه أن يشك بكما؟

انتهى الحوار بإحباط تام وضحكات بعدما لكمتْ كتفه بقبضتها الصلبة، ولكنه لم يتوقف تمامًا، أعدَّتْ كأس القهوة الثاني لهذه الجلسة، لاستكمال الحديث دون أن ينفجر رأسها من الصداع الذي عاد بعد دقائق. وفي مشهد الختام، وضعت الكأس جانبًا بعد إعداده، ومن ثم رفعت نفسها لتجلس فوق المائدة، والآخر يركز ظهره عليها، وسيجارة في فمه أطفأتها فور صعودها.

- وأين يقبع القبو في الداخل؟
- هذه هي المشكلة تقريبًا، لا يملك أي شخص فكرة عما يدور هناك، بمعنى أصح، جميع التقارير التي لدينا ينعدم بداخلها أي تفاصيل عن قبو سفلي. ربما سيكون هذا السؤال تافهًا قليلًا ولكن.. ألا يمكنك رؤية المكان بعينيك السحريات؟

- لا يمكنني التحكم بعينيّ بهذه الطريقة بعيدًا عن حقيقة قدرتي على ذلك. فقط، ليس من المنطقي عدم وجود قبو في التصميم المعماري ووجود واحد.. إلا أن يكون جزءًا منفصلًا بحد ذاته، وربما في مبنى مجاور.

لمعت عيناه، فقد بدا أن حل المعضلة كان بسيطًا، يحتاج فقط من يقوم بكشفه.

(2) حافظا الليل

اعذرني على فظاظتي، ولكن دعني أوجه لك أنا السؤال هذه المرة، هل تؤمن بالصدف؟ من الناحية العلمية، لا يوجد أي مبرر يجعلني أؤمن بها أو حتى أميل إلى جانبها، فإن لم تكن المصادفة حدثت بسبب معلومة قد أهملتها أو أضعتها، فهي فقط حدث معدوم النسبية همشته في نهاية التقرير، فشل ذريع لباحثة عظيمة مثلي أن تقع في تلك المصادفة إلا أن تكون المصادفة التي نحاول الوصول إليها هي النجاح، وهكذا تكون التجربة بالكامل مبنية على رهان فاشل من الأساس. ولكن حينها ستصارحك الحياة، أنه لا يهم حقًا إن كنت تؤمن بها أم لا، سوف تلتقي بها حتمًا، السيء منها على الأقل.

هناك شخص يقترب من السيارة المركونة، ليس وكأنني اهتممت لهذا، فقط استمريت في مطالعة السقف والتفكير في المهمة بشكل أعمق فأعمق، حتى فَتح الباب ووَضع قدمه اليمنى بكل عنف بالداخل، رمى الأوراق نحوي وأدخل الأخرى وضرب الباب بشكل متتالٍ وسريع، وألقى الدخان من صدره طاردًا كامل الأوكسجين الذي بداخل السيارة للخارج. لم أطق الرائحة ففتحت الباب حاملة الأوراق، ركزت على الإطار وبدأت فورًا في القراءة. ثواني قد كانت حتى فَتح الباب الآخر ناظرًا إلي بالتوازي مع السقف، وقال:

- معذرة! ولكن كان من الصعب الدخول إلى هناك وسرقت هذه المخططات.
- ويبدو أنه كان من الأصعب أن تنهي تلك السيجارة اللعينة ودخانها في الخارج قبل أن تدخل! أشعر أنك أحيانًا تفعلها عمدًا لتضايقني.
- بما أنك كنت صريحة اليوم، فيمكنني تأكيد تلك المعلومة. ألا تريدين تجربتها؟
- الموت ليس من الأمور التي أريد تجربتها حاليًا، على الأقل حتى انهي بحثي.
- اللعنة! أنتم العلماء حقًا شديدو الحرص، ما المشكلة أن يخفض الاسترخاء من حياتك سنة أو اثنتين، وفي المقابل حياة هنيئة.

أخرج أخرى فور أن قال تلك الكلمات، وكأن الشيطان من كان يتحدث بلسانه، ومن كان يهمس إلى أذنيه وذراعه. وبعد أن أدخل أولى دفعات النيكوتين إلى جسده، فتح عينيه من جديد ناظرًا نحوي، فلفتته فورًا نظرتي فاقدة الأمل المتألمة، فقال رافعًا كتفيه:

- سنة ثالثة لن تضر أيضًا.. المهم الآن، ما رأيك إذن بالتصميم؟
- قبو سري ممتد من المبنى الثاني المجاور وحتى نهاية الكازينو، تصميم عبقري.
- مصادري تقول أن القبو قابل دخوله من مصعد الكازينو بطلب من المتحكم المركزي، ولكن تلك هي الطريقة الرسمية، يمكن دخوله أيضًا من المبنى المجاور عبر فتحات التهوية المركزية، ستكون تلك الطريقة أكثر أمانًا.
- لم يذكر المخطط أي مداخل للقبو في المبنى المجاور، عما تتحدث؟
- سنصنع واحدًا، اتممت بالفعل في الخارج صفقة شراء قنبلة شديدة الانفجار.
- هي مهمتك، وطريقتك في تنفيذها، حاول ألا تخاطر بنفسك كثيرًا فحسب. سأدخل غرفة الإدارة وسط الجلبة التي ستحدثها، وسأعلمك فور خروجي.

وجّه نظره نحوي بتركيز دون أن ينطق بكلمة، يبدو أن هناك الكثير من الأسرار قابعة خلف مخططاته، ويحاول الآن التفكير بطريقة صحيحة لتنسيق الكلمات وإخراجها إلي.

- لا أعلم بعد إن كان من الصواب إشراكِكِ في هذا الأمر.
- أتمازحني! ألم تكن موافقًا قبل ساعات، ما الذي جعلك تغير رأيك الآن؟ دون حقيقة أنك لن تستطيع تنفيذها وحيدًا على أي حال.
- ألست مطاردة؟ إن عرفك شخص ما من الداخل، فسيكون إخراجك من هناك أصعب من إخراج القطة من القبو. هناك قتلة، مهربين، والكثير من أصحاب الأموال الغير شريعة، وجميعهم سيسعون خلف جمالك البراق.
- أحم! أنت تتكلم مع ساكورا ناكوري، شيزومي، أم تفضل أثينا؟!

- اللعنة!! لا أريد حقًا التحدث عن هذا ولكن.. أحيانًا أعتقد أن كيانك مستقر ليفكر بانتقام، وأحيانًا أظن العكس. هناك علاقة قديمة تربطك بذلك الوزير، ولا أعلم إن كنت قادرة على تخطيها والتركيز على تنفيذ المهمة.
- علاقات قديمة؟ يا كم أعشق الذكريات! إن كان أحد هؤلاء الذين يسعون خلف جمالي البراق، فلا أعتقد أنه سيكون من الخطأ إلقاء تحية.
- أرجوكِ! لقد قبلت مشاركتك هذه المرة فحسب بدلًا من العميل فقط لكيلا أكسر قلبك، أريد منك الالتزام بالتعليمات والسير حسب الخطة، أنت الآن جــ، لست أثينا، لست جراي، هل هذا مفهوم؟!

أكان من المفترض أن أجيب على ذلك السؤال، بل ما الذي حدث لي لتختلف شخصيتي بهذا الشكل، تشه! عدائية أكثر من المعتاد—نشيطة القلب أكثر من المعتاد، المشكلة ليست في أنفاسي العالقة منذ أن خرجت من السيارة، أشعر فقط بأن أحد عيناي تلتهب، ما دعاني لأعود قليلًا، هل هي تحاكي تفكير وحش لمحاولة النجاة؟ أتبعد الموت؟ يا لها من سخرية غير منطقية، وبدون إثبات، تدرج تحت بند: سراب يقود أثينا للجنون.

توقفت السيارة في المحطة الثانية، وقد كانت براقة جدًا لدرجة ترعب الحاضرين، لا تغادر الأضواء مجال رؤيتك في الليل من النيون المنتشر، ومع اختلاط النور بالزجاج يُكْشف كم الخوف الذي تحتويه في الخلف، القلق الذي يلتهم قلبك بهدوء دون أن تشعر، ولكنك تبتسم كالوحش بينما تطالع انعكاسك في المرآة الأمامية، فجأة ناولني مسدسًا صغيرًا لفت عيناي نحوه بعيدًا عن المنظر، ودون أن أسرد قائمة اعتراضاتي سحبته من يده، ومن ثم بدأت أحركه داخل يديّ حتى شددت الزناد إلى الخلف، فَتح الباب، وبينما يغادر قال:

- ابقيه معكِ احتياطًا لو حدثت أي مصادفة، قولِ إنه للدفاع عن النفس. وحاولِ الالتزام بالخطة، ولكن لا تنسِ أن حياتك أهم من الالتزام بها، لديك صلاحيات التعديل بما تريه مناسبًا وسط العميلة.

فتحتُ الباب خارجة لأراه يشعل سيجارة وهو مائل على مقدمة السيارة، فأكمل:

- أشكركِ حقًا على مساعدتي. تعتبر هذه أهم عملية في حياتي، ونجاحها يعني لي الكثير، ولكنها لن تنجح إن لم يعد كلانا سالمين، أيمكنني الاعتماد عليكِ؟
- حاول فقط ألا تموت بينما تجهز القنبلة والسيجارة في فمك. سأدخل الآن.

أيمكننا الآن فتح صفحة جديدة وننتقل إلى الشق الثاني من القصة؟ دعني أوجه لك سؤالًا آخر بهذا الخصوص، هل تؤمن بالفساد السياسي؟ بالغوص أكثر عميقًا نجد أن هذا المصطلح مضلل بعض الشيء، نحن نتحدث فقط عن تحقيقٍ للمصالح، شخص يظن أن مكانته بامتلاكه بعض الصلاحيات تمكنه من فعل أمور هو مخولٌ بها، ولكنه فقط وهم من صنع الجشع والغرور كلاهما يقودانه للجنون، أرأيت؟ دعنا نبعد تلك الخطايا من المعادلة وستجد أنه إنسان يستحق الموت بأفعاله، أستفعلها أم سترضخ بأنك فقط جـ؟

المكان من الداخل أعظم بكثير مما كان يبدو عليه من الخارج، لحسن الحظ لم أخلع قلاداتي قبل الخروج كما أفعل عادة، لقد منحوا القميص الأبيض البسيط مظهرًا مميزًا، بل أتدري، أنا حقًا أناسب خلفية هذا المكان أكثر من هؤلاء النساء الأغنياء اللواتي في الداخل، من جئن ليحرقن أموالهن أو لسرقة زوج غني تحديدًا، لربما كان علي فقط الحضور بفستان أكثر إبهار لأندمج أكثر في الحضور.

دخلت مباشرة إلى الصالة الرئيسية، بوفيه مليء بالحلويات في الأمام، والكثير من الألعاب والعارضات إلى جانبيه، من المؤسف أن مكانًا بهذا الحجم يمنع فوز أحدهم

بملايين، هذا فعلًا يخفِّض من قيمته وسمعته، ولكنه مخيف حقًا، لم يكن تصميمه فريد علي بعد رؤية كل تلك المخططات، ولكن كمية الأموال التي تهدر في الداخل، ونوعية الشخصيات التي تقوم بدفعها، لابد أن كلاهما من جعل هذا المكان كابوسًا يستحق تدميره وصاحبه. قبل الدخول، ولكي أتجنب الأمن بقدر المستطاع، قررت شراء كمية بسيطة من العملات، كمراهنة مبتدئة، سأمثل كوني دجاجة سخيفة تترك خلفها فقط الأرباح، ولقضاء بعض الوقت حتى يأتي دوري في مهمة.

- ... أهلًا بك مجددًا في كازينو الشرق، نتمنى لك وقتًا ممتعًا، ولكن! يمنع حواز أي أسلحة نارية في الداخل، لذا سنصادر مسدسك حتى...
- (؟) هيا!! فتاة بهذا الجمال ستحتاج سلاحًا في الداخل لحماية نفسها، ليس وكأن قوات الأمن لديكم يقومون بأي شيء غير الانتشاء هناك، ألا تظنين أنه سيكون من مضر لسمعة المكان أن تحصل فضيحة ما بسببها.
- (الموظفة) حسنًا! امهليني لحظة. قمت بمنحكِ استثناء، ولكن فقط هذه المرة.

لقد وضع ذراعه على كتفي الأبعد وكأننا في علاقة منذ سنوات بكل جراءة، هذا أقل ما توقعته من الأشخاص الذين في الداخل، لذا قررت فقط مجارات الأمر. قلت:

- ولكنني لم أعد بحاجته حقًا بوجود شخص مثلك إلى جانبي، ألا تظن ذلك؟
- هذا سخاء بتقديري أيتها الحسناء. ماذا تنتظرين؟ شرابك اليوم على حسابي.

جلسنا على البار، جهز لنا الساقي أكوابنا، وحينها بدأ الشرب الكوب فور الآخر، وخاصتي، ليمون بدون كحول، بات وحيدًا على الطاولة لدقائق بينما أتفحص المكان من مكاني، حتى نظر ذلك الغريب إلي بجدية، وقال:

- كنت أفكر عندما لمحتك قريبة من الاستقبال، هل تجاوزت حتى العشرين لدخول مكان كهذا، فمن بعيد تبدين كفتاة في الثانوية، ولكن جسدك وجمال عينيك عندما اقتربت حتمًا جعلاني أدرك كم أنت بالغة.
- لست مخطئًا كليًا، واحد وعشرون، وهذه أول مرة حقًا أخرج فيها من المنزل قاصدة مكانًا غير مدرستي والمكتبة، هل حمل مسدس كان فكرة صائبة؟
- ليس فقط صائبة، بحالتك تلك سيكون من الضروري وجوده برفقتك، لا تعرفين أي من هؤلاء فجأة سيجبرك على خلع قلادتك، فكما قلت، الأمن هنا هو الأسوأ. ولكن لا يجب أن تقلق، المكان محاصر بالفعل من الداخل والخارج.
- محاصر؟ أي نوع من العمليات الخاصة قد يديرها محقق سري مثلك؟ أوه! انتظر لحظة، لم يكن علي قول ذلك الآن.
- تملكين حس دعابة سيء. سينقلك الفريق إلى مكان آمن فور انتهاء العملية، حتى ذلك الحين، احتمي بحرص!

اقتحمتْ قوات الشرطة المكان، والهدف غير معروف بتاتًا، ولكن المعروف هو أن عمليتنا قد فشلت فشلًا ذريعًا بسببها. حالما دخلت بتوحش قامت تطلق النار بشكل عشوائي نحو جدران المكان، ورفع المحقق مسدسًا كان بحوزته أيضًا نحو الضيوف لتثبيت من في الوسط، أطلق رصاصتين في السماء فقط لجذب الانتباه بينما تعبر القوات وتطهر عمق المكان، وأنا، كنت عند قدميه أرضًا، متمنية أن هذه العملية ليست كليًا لأمساكِ، إشراك هذا الكم من العناصر، واقتحام مكان تحت حماية حكومية، لابد أن يكون ذو هدف أكثر أهمية من إمساك عصفورة وجدت طليقة لأقل من ثلاث ساعات.

لم يأخذ تأمين المكان وإفراغه وقتًا طويلًا، ولكنه في الحقيقة مر كسنوات بالنسبة لي من القلق الذي اجتاح مخيلتي، فلم أسمع أي صوت انفجار وسط ضجيج الموسيقى، هل

لاحظ جـ أن قوات من الشرطة كانت تحوم في الداخل؟ من المستحيل أن يخفى على عميل مثله أمر كهذا، كان عليه تحذيري فحسب عندما أدرك ذلك. ما الذي يفترض علي القيام به في وضع كهذا؟! سأتصل به فحسب، لحظة فقط لأخرج هاتفي...

- هناك تشويش على المنطقة، لذا لن يجدي استخدام الهاتف. يمكنك الوقوف أيضًا بالمناسبة، لقد انتهينا تقريبًا وستغادرين بعد قليل.

مد لي يده بكل أناقة ليرفعني عن البلاط بعدما أسقطني بالرصاص، يا لها من كاريزما.

- لم تشرح لي بعد لمَ كل هذا، أيفترض مني فهم كل شيء من السياق؟
- وصلت لنا عدة وثائق من مصادر معروفة مرتبطة بوزير الصحة، توضح عدة جرائم منها تهريب أموال وأدوات لخارج البلاد، تجارب غير شرعية على البشر، اسمك كان أعلى هذه القائمة بالمناسبة، وتجنيد أشخاص في الخفاء، وأخيرًا استخدام السلطة لتنفيذ قرارات ذو مصالح سياسية، كان من المفترض أن يتم اعتقاله قبل أن يصلنا خبر مقتله، تحديدًا قبل دقائق من موعد حضورنا.
- من العبقري الذي استطاع الوصول إلى كل تلك البيانات بهذه السرعة؟ والغريب، كيف قتل ومن الذي قتله تحديدًا؟
- التحقيقات ما زالت جارية، ولكن، نصيحة مني، لا تتدخلي في أمور وكالة الشرطة الوطنية. مساعدتي ستقوم بنقلك بعد قليل إلى مكان أمن حتى يتم الإعلان عن انتهاء العملية الجارية والعثور على القاتل، وغالبًا ستناقش معك أمور التسوية والتعويضات بسبب الفوضى التي وقعت بها بسببنا. شكرًا لك على تعاونك معنا، إيتها الحسناء، جراي شيزومي.

أنا على وشك الغرق في التفكير الآن، هل أخبره أم أكتمه وأجاري الأمر؟ هل كان جـ المسؤول عن عملية القتل أم قطته تلك، أتمنى حقًا ألا يكون لهم أي ارتباط بهذه القضية.

الأشجار تتحرك للخلف مسرعة، تهرب من عالمنا دون أن تنتظر أو تفكر، وجميع الجمادات، لا يوجد غير البشر مستعدون للتحرك قدمًا نحو المجهول بأقدامهم، ليصبح الطعم المر هو ما يميز أيامنا، والخوف من كل يوم يمضي كيف قد يكون تأثيره على الباقيين، ليس وكأن أفعالك فقط المسؤولة على ما سيحدث لاحقًا، لا تنسى ما كنا نتحدث عنه سابقًا، المصادفات هي آثار أحداث سابقة مبنية على وقائع حدثت بيد شخص آخر، اندمجت دون قصد في مسارك، بصمة صنعتْ اعوجاجًا بخط مستقيم كان يسمى سابقًا حياتك، ما رأيك بهذا؟ الذنب ليس ذنبك، ولكن طريقة التماشي مع ذلك هي واجبك الجديد، لا تجعل ذلك الاعوجاج البسيط أبدًا يدمر استقرار مصيرك كاملًا.

رأيته بعينيّ بينما أغادر وانعكاس الرحلة، ذلك المسدس كان يحمل الكثير من المشاعر، تخطيت في لحظة ملايين المشاهد، بل أكثر من ذلك، إنه يدخل، يسحب الزناد للخلف، يوجهه نحو رأس البائع والمال الذي في الجرار، يطلق النار فتمتلئ يده بالخطيئة، ومن ثم إلى حقيبة، يضعها على الطاولة ولكنها فقط تشعل حربًا هناك، لقد أُصِيبت يده ولكنه نجا بسبب السلاح، يسحب الزناد للخلف، فيطلق النار بينما يخترق مبنى، ومن ثم يشعله من القاع وحتى القمة، لينام بعين واحدة في الأزقة، إن أغلق الأخرى فسيكون فريسة العصابات القادمة، رحلة دمار من الاستقرار إلى قلب مرعوب مهشم، مسدس أسود كهذا له أجبرني فورًا على سحب زناده للخلف بعدما شعرت بما يحتويه من حكاية.

- (؟) هل شوارع المدينة جميلة لهذا القدر لتجذب كامل تركيزك؟
- لماذا توقفنا؟ - لم أنتِ متوترة؟ سأشتري شيئًا آكله فحسب، أتريدين؟
- فقط كوب قهوة من فضلك.
- ... ليست الأفضل ولكنها جيدة ... عودة لمحادثتنا، يبدو أنك اخترت أفضل يوم لزيارتك الأولى، يا لها من مصادفة عجيبة. ما الذي كنت تفعلينه هناك؟

- هل وصلتكم معلومات تفيد بأن هناك شخص يريد سرقة بيانات من الداخل؟
- دقيقة!! هذا مضحك!! لا تقولِ أنك كنت هناك لسرقة وثائق حساسة للوزير لترسليها لنا، ومن ثم اكتشفت أنها كانت لدينا بالفعل!! بالطبع لا.
- وهل قاتل الوزير فتاة؟ - لمَ يهمك الأمر بهذا القدر. لا، ليس فتاة أيضًا.

وفي مشهد الختام، توقفت سيارة الشرطة عند المركز، اضطررت للبقاء هناك عدة ساعات من المفترض أنهم لتوفير الأمن لي، ولكنهم في الواقع لتوقيع الكثير من الأوراق، معظمهم تنازلات وتعهدات مقابل مبلغ من المال لإسكات لساني عن كل ما حدث في السابق بسبب الحكومة الفاسدة، وخلال تلك الساعات، الهاتف لم يغادر كفَّ يدي، وعلى الرغم من كل تلك المحاولات التي قمت بإجرائها، إلا أنه لم يمسك الخط مع جــ في إيٍ منها، يبدو أنه سينتظر أثينا حتى تعود إلى المنزل، أتمنى أن يكون هناك في انتظاري.

(3) حافظا النهار

لا أسوأ من أن يقاطع شخص ما لحظة مزاجك، ما زالت السيجارة في وسطها ولكنني مضطر الآن لوضعها جانبًا تاركًا الهواء يلتهم ما تبقى منها للرد على بعض الهراء، اللعنة! ولكنه قد يكون أمرًا مهم لذا علي الرد في كلتا الحالتين، لم أعلّقها، رميتها أرضًا واضعًا قدمي فوقها مطفئًا إياها بكل حزن وحسرة، فعليَّ بدء العميلة قبل أن تموت أثينا مللًا في الداخل، من المتصل يا ترى؟

- دعني أقدم لك هذا التقرير الطارئ الذي وصلني قبل قليل، هناك من قام باغتيال الوزير، ليس من طرفنا، ولا أعتقد أنه من طرفكم أيضًا، المعلومة قد وصلت إلى الشرطة، بل وصل لهم الكثير من المعلومات في الواقع، هناك طرف ثالث في ملعبنا، لا أدري ما أهدافه، سأعود لك باتصال حول الأمر فور التوصل لأي معلومات إضافية، إن كنت في الموقع، الشرطة ستكون هناك في حدود دقيقتين، مركبات مدرعة من وكالة الشرطة الوطنية خرجت بالفعل متوجهة إلى هناك لتأمين الحدث وجمع مزيد من التفاصيل.
- يبدو أن إشعال سيجارة قبل الدخول كان أمرًا إيجابيًا حتمًا. أثينا فقط في الداخل، سأحاول التواصل معها للانسحاب من الموقع. ماذا عن رايز؟
- سأعود لك باتصال بعد قليل بخصوصها، هناك أمر أريد التأكد منه فحسب.

أغلقت عينيّ متثائبًا ويدي اليمنى معلقة بالقرب من فمي، فأفتحهما مع انعكاس أضواء مركبات الشرطة التي احتلت الشارع، وانتشار عناصر وكالة الشرطة الوطنية مغلقة كل فتحة في المنطقة خلال ثوانٍ، فأرفع اليسرى مضطرًا لتعلّق بجانب اليمنى في السماء مع ابتسامتي المستفزة، يقترب أحدهم بسؤاله السخيف وكأن الوقوف في الشارع بلا سبب يعتبر جريمة، رفعت كتفاي باستهزاء، هذه كانت إجابتي التي بسببها اسقطني أرضًا بعنف.

ما زال الغبار أمامي يصور لي الأحداث القادمة، عاصف بجنون، أيمكنني التذمر حتى، مرح إضافي يضاف للقائمة، عمن علي البحث الآن، أثينا أم رايز؟ أرجو أن تكون تلك شعرت الآن بدفع قيمة بعد ما حدث لها بالداخل. هل هذا رنين هاتف؟ لم أسمعه لمدة.

- وأخيرًا استطعت الوصول إليك! هل هذا يعني أن الحفلة قد انتهت؟ ما الذي جرى هناك بحق الجحيم؟ على العموم لدي الكثير من الأخبار.
- أذناي جاهزتان لسماع أخبارك السيئة، وأنفي المكسور ربما.
- جراي شيزومي، فريستك، تنقل الآن إلى حجرة خاصة تملكها الشرطة الوطنية، وبهذا مهمة الاغتيال قد فشلت، وبالنسبة لرايز، لم يذكر أحد أنها خرجت من القبو، ولكنها ليست هناك أيضًا، الشائعات تقول أنه تم تهريبها رفقة أعضاء من المافيا إلى مستودعات الشمال، والمبلغ!! يا إلهي، لا أصدق أن فتاتك تلك تستحق كل هذا المال.
- شكرًا على تعليقك السخيفة، ولكنني سأحتاج المزيد من المعلومات، المؤكدة، عن مكان رايز، أرجو ألا تكون تلك الحكاية صحيحة. سأتدبر أمر أثينا لاحقًا.
- ولكن تلك المعلومات خارج حسبتنا، ولأن رأسها غالي الثمن، فالمعلومات حولها ستكون مكلِّفة بعض الشيء، أمستعد؟
- المبلغ سيكون ملكك في دقائق، فقط أسرد ما لديك حالًا.
- أربع سيارات لتايجر جولد تطارد المركبة التي تهربها الآن، إحدى تلك السيارات بورش كريرا جي تي ملغمة، وسبب المطاردة شجار قديم، هم لا يعلمون بعد عن عملية الخطف. سيتم تأمين المركبة المهرِّبة فور دخلوها حيز كريستال ديث،

رصدنا حوالة ضخمة لحسابهم قبل قليل. ستتعاون مع تايجر جولد لتخطي منطقة الخطر، وبالتالي إتمام عميلة اعتقال المركبة المطاردة دون الحاجة لأي تفجير. هم يريدون قائد المركبة، وأنت تريد الفتاة، هذه صفقتنا، وهذه المعلومات التي لدينا.

اللعنة! لقد شعرت بأن هناك عاصفة قادمة. حان وقت إعادة قدماي إلى الوحل مجددًا!

***

مطاردة في الشارع السريع، وآلاف من حاويات الرصاص خلف علامات العجلات تركت تذكارًا لهذه الحرب، هم أربع سيارات بورش مميزات بلونهم البرتقالي الموشح بالأبيض، مركبات تايجر جولد للعمليات الخاصة، والفريسة، سيارة عسكرية مدرعة من تويوتا، وعلى الرغم من كل ذلك الدمار الهائل والحصار الخانق المفروض إلا أن إيقافها كان مستحيلًا، هي تقود بجنون مهما كان حولها، حتى ظهرت سيارة غريبة، سوبرا سوداء، تسير على الجسر المجاور بسرعة مجنونة، وفي لحظة تخطت السياج وقفزت نحو الشارع وسط الرصاص، أخرى لتستقر وفورًا تميل نحو طرف المدرعة الخلفي بجنون ما حطم طرف السيارة الأيمن بالكامل دون أن تتزحزح الأخرى.

- (تشويش) هــ_ــ____ الموت لكم يا تايجر جولد، الشيطان هنا، أعلمكم بأن المدرعة ملك لي، وإن لم تبتعدوا عنها حالًا، فلا مشكلة لدي بتدمير أربع سيارات إضافية، وإن تعاونتم، سأحاول ترك القبطان حيًا لكم.

تباطأت حتى أصبحت تتحرك بين المدرعة ومركبات تايجر جولد، نحو أقصى اليمين توجهت، ومن ثم إلى أقصى اليسار، وأخيرًا اندفعت فورًا للأمام، صوت المحرك علا بجنون حتى وصل الظن أنه سينفجر، تجاوز المدرعة وتخطاها بأمتار، ثواني لم تُنْتَظر سدى أبدًا، فقد رمت فجأة قنبلة ضخمة نحو مقدمة المدرعة، وانفجار فوري، جزء إضافي من الثانية وكان سيفجرها في يده، هذا حتمًا جــ الشيطان. خرجت المدرعة من الدخان، ولكنها لم تستمر بالتحرك لفترة طويلة، وحالما تم محاصرتها بالسيارات الخمسة، اضطر القبطان للخروج من المركبة مستسلمًا، وفور ما هدأ الوضع، خرج الشيطان أيضًا، بسيجارة كالمعتاد في فمه، من سيارته المحطمة التي تعطلت أيضًا من الانفجار.

إنه محطم كالزجاج، ولكنه مستقر من الخارج، معتاد إن صح التعبير، بكل برود دخل الحشد، هادئًا غير مهتم لكل تلك الشعارات، تركيزه كان متوجهًا فقط نحو حقيبة السيارة، فتحها ليجد كنزه فابتسم، وفي عقله أعلن أن مغامرة اليوم قد انتهت بنجاح، أخرج ما تبقى في صدره من دخان، وأغلق عينيه بعد ما عد النجوم راكزًا على جانبها. إنها تمشي ونظرها نحوه على طرف الرصيف، وهو في الخلف يلقن سلاحه ويتأكد من توفر كل المعدات للمهمة، تمازحه بكلماتها في الطريق، وأحيانًا تكون جادة تمامًا، تحاول أن تمسك يده وسط كل تلك المصائب، ولكنها فقط تتلاشى بعيدًا، فتظهر مجددًا عند الكارثة الأخيرة، تناوله السلاح، وسط نظراتها المرتعبة الآن غير المبالية، يسقط المشط ويعيده ويسحب الزناد، تزيح برأسها نحو المخرج، ولكنه يرفض ذلك بهز رأسه، فتسحب زناد سلاحها هي الأخرى، وتضع يديها على كتفيه، وتلاصق رأسها في أذنه لتهمس:

- هناك فتاة في انتظارك، سوف تقلق إن لم تعد إلى المنزل الليلة، لذلك سوف أوفر لك بعض الوقت لتغادر الكازينو.

بقي متحديًا بعناده، بل جوابه كان واضحًا بالنسبة لها، سنغادر معًا أو لن يغادر أحد، ولكن إصرارها كان أعظم بكثير، تطلق النار على قدمها، وتشير بسبابتها نحو المخرج.

- لن نستطيع الخروج معًا الآن، غادر قبل أن تحاصر.. ولا تنسى أن تأتي لإنقاذي.

أعاد فتح عينيه، هذه المرة نحو أفراد عصابة تايجر جولد المغادرين بغنيمتهم، فكان عالقًا هناك وحيدًا في الريف بسيارتين معطلتين وفتاة نائمة، يخرج علبة سجائره بينما ينتظر ليجدها فارغة، عبس وبدأ يتأفف، يرمي العلبة في داخل الحقيبة بينما تستقيم وقفته مبتعدًا عن السيارة، رافعًا يديه في السماء.

- (؟) أليست هذه علبة الأمس التي اشتريتها لك؟ يبدو أنك قد دخنت الكثير، وإن دل هذا على شيء، فهو أنك قد واجهت العديد لإنقاذي.
- لم أكن سأقع في كل هذا لو لم تطلقِ ذلك الطلق اللعين في قدمك!!
- لم نكن لنقع في كل هذا أبدًا لو عشنا حياتنا كالآخرين، نحن مختارون من بين الجميع لنلطخ أيدينا بالطين ونتحمل الألم، فقط لننظف الفساد ونصلح المجتمع، وفي النهاية لن يقوم أحد بشكرنا على ما نفعله، ولن يعلم عنا أحد، سيكون ما حدث بسببنا هو فقط مصادفة بالنسبة لهم، حدث بدأ وانتهى من تلقاء نفسه.
- ليس هذا ما كنت أعنيه. - بل هذا تحديدًا ما كنت تعنيه.

تزحف حتى تنزل قدميها من حافة السيارة، وتركز كتفها على الجانب أينما هو أعاد ركز ظهره، وبعد لحظات من الهدوء، فجأة يقول:

- كيف هو حال ساقك؟
- هذا هو السؤال الذي كنت أنتظره منذ البداية، ولكنني لن أجيب، أريد أن أتهرّب من العمل وأخرج في إجازة بحجة الإصابة، لن تخبر الوكالة أليس كذلك؟
- سأخبرهم فقط أنك أطلقت النار على نفسك بدون سبب لأنك امرأة حمقاء.
- نعم! هذا بالتحديد ما أريدك أن تخبرهم إياه. ولكنه كان مضحكًا، لقد ضحيت بنفسي من أجلك، وكان من الممكن أن يتم قتلي، لأجل تلك الفتاة التي لا أعلم من هي حتى، حديثك عنها دومًا جعلني أدرك أنها جد مهمة بالنسبة لك.
- عندما نخرج من هنا، سأجعلك تقابلينها، لابد أنها ستكون مسرورة بمعرفتك.

بعد ساعات من المحاولة أعاد تشغيل السيارة، ذهب ليرسل لها الأخبار السارة، سائلًا إن كانت تستطيع المشي إليها أم لا، فترفع يديها بعد كتفيها إليه مجيبة بابتسامتها العريضة،

وهو يخفض رأسه بيأس من تصرفاتها، ولكنه على الرغم من ذلك حملها على ظهره كما أرادت، فينتهي الحال بهما لوحدهما مغادرين في السيارة المهشمة.

وفي مشهد الختام، يطرق الباب وينتظر، لا يُفْتح، فظن أن أثينا في الداخل تفكر إن كان عليها فتح الباب للغريب الذي يطرق لأنه غالبًا لا يطرق الباب، وفي النهاية تفتح الباب ليكون ظنه صحيحًا، يدخل ورايز محمولة على يديه، حتى يقوم بوضعها على الأريكة، ومن ثم يجلس إلى جانبها ناظرًا لأثينا المندهشة الواقفة عند جانب الباب.

- أبعد كل ما حدث اليوم، ما زال لديك في الداخل عقل ليفكر؟
- لم أتخيل فقط أن تأتي حاملًا القطة بهذا الشكل.
- لا تقلق! لا يوجد أي علاقة بيني وبين هذا الرجل، ضع تلك الغيرة جانبًا.
- ليس هذا ما كنت أتحدث عنه!! تشربين القهوة، أليس كذلك؟
- قهوة؟ ألا يوجد لديكم أي خمر هنا؟ - اصمت أيتها المصابة!

وعاد كل شيء لما هو عليه، بل العكس تقريبًا، بفرد إضافي ضيفًا في المنزل، وخسائر هائلة، ولكن على الأقل الكل حي، هذا ما شغل باله، ما يشغل باله كل ليلة عندما يعود، لا يهم أي شيء لطالما نحن على ما يرام بعد كل الفظائع التي تحدث، لأنني، جميعنا اليوم، حققنا السلام لمن هم في الخارج، وكما قالت، لن يعلم عنا أحد يومًا.

- ألم تنامِ بعد؟ لدي مسكن قوي لألم قدمك إن أردت.
- لقد كنت أفكر في أنك لم تشتري سجائر بينما نحن عائدون.
- نسيت بسبب حديثكِ الذي لا ينتهي بينما نسير، تمنيت لو كان هناك زر كتم.
- مضحك، ولكنك كنت تفكر بضرر سيارتك، أليس كذلك؟ على العموم لدي علبة سجائر يمكنك اعتبارها اعتذار على ما حدث بسببي اليوم. إليك العلبة!
- اللعنة عليكِ فقط! لو علمت أن ذلك سيحدث، لتركتك تتعفَّنين في المستودع.

الفصل الثالث عشر: فساد

(1) زهرة الخلود

ما زال من المستحيل بالنسبة لي إقرار إن كانت هاتين العينين نعمة من السماء، كباقي معجزات تلك الحاكمة الموصوفة بالفاسدة، تهدف من خلالهما قيادة الجيل البشري هذا وما يتبعه إلى حياة جديدة مختلفة كليًا عن سابقتها، مسالمة هادئة، ومتقلبة موترة على حد سواء، أم لعنة تنين علقت بي، ستقودني في النهاية إلى الجنون، ومن ثم البشر إلى كوارث فظيعة، وسيقع الذنب علي أنا، ما جعلني منذ ذلك الوقت أفكر مرتين في كل مرة أقرر استعمال عيناي فيها، المرة الأولى كوسيلة، هل باستعمالهما هذه المرة سأقود العوالم إلى تطور فعال، هل ما ينقصني فعلًا للوصول إلى ذلك التطور هو عيناي، والمرة الثانية كعقاب، هل باستعمالهما سأكون قادرة لاحقًا على دفع الثمن الباهظ لاستعمالهما، هل أنا مستعدة لدفع ما تبقى من حياتي لإصلاح عواقبه. لم يتغير الأمر كثيرًا عندما وصلت إلى مدينة الحكمة، ما زلت تلك الفتاة، أثينا، بل جراي شيزومي، التي تعشق العلم، بنفس الشخصية والطموحات، ولم يتغير اتجاه بوصلة اهتماماتي، على الرغم من كمية المعلومات المهولة الموجودة في مكتبة السماء، ما زال عنوان بحثي يدور حول العوالم وما حولها، ولأجله اضطررت إلى التعمق في الكثير الكثير من الأمور الأخرى، كهندسة الطاقة، التركيب الحيوي للأجسام، الخوارق وعلم الدماء، وتشفير سيلي، وبمساعدة هؤلاء العلماء الذين بقوا دومًا إلى جانبي، فيارا ويومان والآخرين، توصلنا معًا إلى النموذج الأول لجهاز قادر على توصيل العوالم ببعضها البعض بشكل يدوي، محطة السفر الخارجية الأولى، الجهاز الأول من نوعه على مر سبع أجيال من الحكام، ليس هذا وحده هو الشرف الذي حظيت به، فعن أي فخر تتحدث وباسمك يسجل علم كامل يوثق أهم تفاصيل الحياة، تصنيف أثينا للعوالم، كلاهما ساعدوني على رؤية الجانب المشرق من عيناي، التغيير العظيم وبابٍ لعلم جديد، ولكن في ذات

اللحظة سألت نفسي، متى ستأتي اللحظة التي أجبر فيها على الالتفاف للخلف لرؤية الجانب الآخر، متى سيحين وقت دفع الثمن.

من موقع إلى آخر كنت أتحرك، من برج معطل إلى دوائر مشتعلة وحجر جرفها الشاطئ، مشاهدة تشغيله لأول مرة كان كارثيًا بقدر ما كان تحفة عظيمة، وتحليل النتائج هو الأهم من ذلك كله، لم يكن العطل بسبب تأثير قوى بشرية، نحن جميعًا نعرف من أين جاءت تلك الطاقة الخارقة وإلى أين تقود، ولكن هناك أمر وحيد أُتُّفق عليه بعد انتهاء التجربة الأولى لمحطة السفر، أنها كانت قادرة بالفعل على صنع خيط افتراضي لربط عالمين مختلفين مهما كانا، ذلك هو التفصيل الأهم من تجربة الإقلاع، هذا ختامًا ما دلت عليه البيانات المؤكدة والمراجعة التي وصلت إليها بعد تسع وثلاثين جولة، وبعد عدة تعديلات على التصميم ليكون أكثر استقرارًا، وبنظام متطور آخر وسهل الاستخدام، كان النموذج الأول جاهزًا للإرفاق في بحث أثينا ليختم به، ليس بذات البناء الضخم، كان ذلك لتخطي عقبة عدم وجود مكونات متطورة كافية لتشغل عقل الجهاز وقلبه، التصميم المرفق هو الأحدث بمكونات اعتدت على استخدامها وتطويرها في عالمي السابق، بسيط شكله لا يختلف عن بوابة منزل، ولكن بمساحة داخلية تتبعه لا تتخطى المتر المربع.

وإلى أين كنت أتجه؟ قد تتساءل، إن كان كل شيء قد تم أعداده بالفعل بالنسبة لي؟ أسجل معلومات إضافية في تقرير نهائي معلق بتقرير نهائي يحمل الرقم سبعة وخمسون، ولكنني فاشلة في الكذب، كان واضحًا للجميع أني أهرب من المكتبة تحت حجة التقرير، الكل علم ذلك وبالطبع أنت أيضًا. حتى لفت انتباهي بينما كنت أتجول زهرة عتيقة كنت ألاحظها هناك عند أقصى الجرف منذ زمن، توقفت لأراقبها، كجزء من بحثي بالطبع، ساعات مرت وأنا جالسة هناك وحيدة، لم يرمش خلالها ذهني لحظة واحدة، وتركيز

سينتهي مفعوله بصداع يدوم لأيام، حتى ظهر خلفي مع غروب الشمس ذلك الشخص، وتحدث دون تحية أو إذن:

- هي ليست بزهرة عادية، بل عينة اختبار مجموعة قتلت على يد إيلي كان بحثهم عن الخلود، ولو كانوا بيننا الآن، لربما لم يكن هناك من سيذوق الموت. نجحوا فعلًا بجعل تلك الزهرة لا تذبل، فأصبحت رمزًا لهم دائمة الجمال ببتلاتها الملونة.
- تظن أنها صامدة ولكنها ميتة من الداخل، هم فقط قاموا بإكسابها شكلًا ثابتًا لا يتغير، لا يختلف الأمر عندما تكذب على نفسك متوهمًا أنك ستحيا للأبد، لا حاجة للعلم أو السحر لتحقيق أمر بسيط كهذا. تجميد ما قاموا به أم إيقاف نمو، في كلتا الحالتين هم دمروا أحد أعمدة العالم بالنسبة لها، الزمن تحديدًا، وعلى الرغم من ذلك، الموت لا يزال مطبقًا عليها فيزيائيًا.

تقدم خطوة وجلس بالقرب منها، لمس بتلاتها بيده مع ابتسامة باردة، ومن ثم أكمل:

- يبدو أن شكل الزهرة لم يكن الوحيد الذي قد لفت انتباهك. بحكم المعلومات التي حصلت عليها من هنا، هل يمكننا حقًا الوصول إلى ما هو أبعد من ذلك؟
- إن كان من الممكن الوصول إلى تلك النقطة، الخلود، لوصل إليه الحكام قبلنا، ولكن سأفرض بحكم العادة عدم وجود الحكام، كل ما نحن بحاجة إليه هو نزع أحد خصل العوالم منا كبشر، أحد الأربعة، الحياة والموت والقدر والزمن، بشر بلا موت هو ما نريد الوصول إليه، لا بشر بلا زمن كما فعلت تلك المجموعة.
- وكيف سنقوم بفصل شعرة الموت عن شعرتا الحياة والقدر لنزعها؟ من السهل نزع الزمن كونه تأثير خارجي، ولكن الموت؟
- لو كانت فيارا هنا، لأعطتك إجابة منطقية أكثر بعلمها المتمركز حول الدماء والخلايا، عمق الأجناس، ولكن أظن أن سحر فصل ذو طاقة عالية سيمكنك

بسهولة من تعديل كائن بسيط الخلق، كجنين في مراحله الأولى، سننزع منه بسباطة شعرة الموت عندما يكون اتصالها بباقي الشعيرات أبسط ما يمكن.

وقف وابتعد عن الزهرة وسط كلماتي، ومن ثم ظهرت على ملامحه تعابير الإحباط فور انتهاءها، ولكن ابتسامته الباردة ما زالت ظاهرة كما كانت لتقابل نظرتي الجادة:

- إذن، لا أمل في تحقيق الخلود لكائن قد وصل بالفعل إلى أعقد مراحل نموه.
- يمكنني تأكيد ذلك بالمعلومات المنطقية التي لدي، ولكن... ربما يمكنك إيجاد كتاب ألّفه شيطان نصف إلف بتعويذة حول خوارق الخلود في المكتبة.
- وهل لشيء كهذا وجود من الأساس؟
- وجدت ما هو أغرب من ذلك هناك، لا يمكنني الجزم بعدم وجوده.
- أنت حقًا فظيعة بقول النكت! ياريس، شكرًا لمنحي فرصة الحديث معك.
- أثينا، أعتقد أنك تعرف ذلك مسبقًا. وتجربتكم تلك... إنها مثيرة حقًا للاهتمام.

وفي مشهد الختام، لم يكن بإمكاني تقديم شيء غير الإنحناء له شكرًا والخروج من الموقع قبل حلول الظلام. يا له من وقت هادئ كاد ينسيني الهدف الذي أسعى وراه، ما لا يغادر عقلي أينما ذهبت، ولكن على الأقل يمكنني الآن تقديم حجة هرب ليومان دون تحقيق قد يستمر لساعات. وأعتقد أنه علي تقديم شكر خاص لكم أيضًا لتحمل ثرثرتي طول هذا الوقت، شكرًا لكم.

(2) ثورة السيوف والحكمة

إنها الحقيقة التي تلاحق جميع من تبقى هنا، عالم البشر هذا ليس أكثر من عالم حرقه البشر بأفعالهم، ومن ثم نسبوه لأنفسهم بكل غرور. ما زلت أعيش في ذلك المشهد، أرى نفسي مرارًا وتكرارًا عائدة إلى المنزل بعدما انهيت دروسي في المكتبة، فيمر عني الفرسان بكل شجاعة وبؤس لعذابهم حاملة سلة من الفواكه قد قررت شراءها خصيصًا لهذا اليوم المميز، وهو أيضًا، لم يخلق فجأة في السماء كما يتصور الأغلب، الشمس الحمراء الدامية هي من غطت ظهوره والغيوم، حتى بنيرانه ميز نفسه أعلى المكتبة، وبكبرياء لا يصدق، فما غير الهيبة كان يملك وسط من تمنوا الموت في الأسفل، هل كانت الصلوات من بعثته، أم الدماء التي نجّست الأرض حتى طال فسادها مقر العوالم. ليس وكأن هناك أحد أهتم لذلك غيري، فقد كنا نرى الموت يقترب منا بعجل، صانعًا لحظة مخيفة أشد رعبًا من يوم إعلان آسيا الحرب على أغسطس.

- (؟) أيستحق المشهد البكاء لأجله؟ ومالي أرى اليأس يتدفق إلى داخلك يا فتاتنا الشابة؟ فما تريه اليوم لن يكون غير بداية عصر ذهبي آخر للبشر.

كانت كلماته تلك من أزاحت نظري عن التنين الحاضر، فقد شغل تفكيري من هو هذا الأحمق الذي يرى القارب يغرق ويقول إنه النجاة، وفور ما رأيته لم أصدق أنه أرخميدس، سقطت السلة من يدي، وتخطت الفواكه قدماه وسط نظراتنا وحتى نهاية الشارع، وبعدما قررت الرد، وبعدما فكرت بكلمات تكفي لقول كلام لابق بطريقة واضحة، هبط التنين على قمة المكتبة، مزلزلًا المكان وكأننا نعيش على أرض هشة أوشكت حينها أن تنكسر، رأيت الحدث من خلفه بوضوح وكأنني كنت متجهزة لرؤيته عَالمةً بأحداثه، يا ليت، فلم تكن غير دقائق اختفى فيها للداخل قبل أن يعود إلى الخارج من جديد، بعينين غاضبتين، وجناحين منفردين، ونيران سوداء من حقد دفين.

التهمت النيران كل صخرة، لم يتبقى من هيئاتنا غير الرماد، ما تركني أتساءل، أكنا للتراب إخوانًا في السابق أم للعذاب؟ الحرارة أفقدتني توازني، والرؤية لحظيًا أيضًا، ولكن السؤال حقيقة كيف حدث ذلك؟ لقد رأيت النيران تتجه نحوي مباشرة، بدأتْ وانتهت عند جثتي، أكان هناك من ألقى بي بعيدًا؟ ألم يكن ذلك الضغط الذي شعرت فيه على جانبي فجأة شعور انفجار خلاياي خوفًا؟ بدأت أتدارك الأمر، لا أصدق أننا صرنا في موقف يجعل من بقاءك حيًا شيئًا تتعجب عليه، حاولت الوقوف لعلي أعثر على طريق للخروج من المكان المشتعل قبل أن تصلني ألسنة اللهب، حتى تذكرته فصرخت، وصرخت مجددًا، سمعت صوت أنفاسه في الأسفل، فجلست على ركبتاي بهدوء، أكانت النار من قذفته بعيدًا هناك؟ بل وصهرته حتى بات من الصعب تمييزه؟ أقام بدفعي أيضًا؟ أكنت لولاه سيصيبني ما أصابه؟ أَخَسر أرخميدس حياته لإنقاذ فتاة بلا قيمة؟

- أهذه أنت أيتها الشابة؟ أأنت من جلس الآن بجانبي؟ إذن اسمعِ كلماتي جيدًا..
- كلماتك. لمَ قمت بدفعي! لماذا؟! العالم بحاجتك، لماذا ضحيت بنفسك من أجلي؟!
- بل يحتاج أمثالكم، فنحن قد كبرنا في السن، وقدمنا الكثير، وانتظرنا الموت لسنوات فقد بات قريب، والآن نسلمكم مفتاح الطريق، لتكونوا أنتم من يبني هذا العالم من بعدنا، من سيستكمل تاريخنا وعلمنا، لذا اسمعِ! الحزن والأسى قد يجتاحوا مساءكِ، ولكننا نكون دومًا على يقين بأن الفرح والفرج سيأتون مع النهار، والفراغ الذي عليكِ مواجهته، والخوف والقلق، لا تجعليهم أبدًا من يعرّفِوا قيمتك، فنحن نؤمن أن حياتنا لن تكون أبدًا كذبة، وأننا سنصنع اسمنا بحياتنا الحرة التي نسلك فيها الطريق الذي نختاره بأنفسنا، والأكثر أهمية من كل ذلك، أننا لن ندع اليأس أبدًا يلمس قلوبنا مهما ساءت الظروف، لن نجعله أبدًا يعكر مزاجنا، وحتى في وقت عصيب كالذي نعيش فيه الآن، بفكرة أننا لن نعيش مجددًا، الأمل هو ما يشغل بالنا ويحويه، لأننا نعلم دومًا بأن هناك حلًا في الغد.

وما زلت أتردد إلى أنفاسه الأخيرة كلما أغلقت الكتاب كالآن، أضعه على الطاولة، دون أي يأس بتاتًا لجهلي على حل المعادلة اليوم، فأنا على يقين بأنني غدًا سأجد حلًا لها، وسيكون علي أيضًا تسليم بعض المستندات لأثينا، والشتاء قريب، نحتاج إلى تخزين كمية من البطاطا والطحين، فخلدت مبكرًا إلى النوم، نوم فوري دون قلق أو فضول.

انسى الماضي وتذكر لحظة بعيدة نحو مستقبل أكثر إشراقًا، الأطفال الذين يلعبون في السهول لن يكفوا أبدًا عن إشراكي في لعبتهم كل مساء، يمسكون يدي ويضعوني وسط حلقتهم، والضحكات تتردد علي من كل زاوية، وذلك حتى أشعر بالدوار من حركتهم المستديرة غير المتوقفة، وقبل أن أسقط، يظهر ذلك الرجل الوسيم ليضع يده على ظهري ويدفعني للأعلى، ما هذا الخيال؟! لحسن حظي أنني قد استيقظت قبل أن نبتعد أكثر في العمق، ومن هذا الذي يطرق الباب في الصباح الباكر..

- (؟) أيتها الآنسة، هناك مبعوث من يومان جاء برسالة من الجبل. ارتدِ ملابسك واحضرِ عاجلًا إلى القاعة.

مبعوث أول الصباح، يا له من نذير شؤم، ما الذي حل على الجبل ليبعثوا إلى سيدة قرية بسيطة مثلي ظرفًا في غاية الأهمية. ظهرت بزيي البسيط هناك، حاملة كتابي احتمالًا أن تأتي لحظة إيجاد حل المسألة فجأة. ينحني المبعوث بغرابة، أترى أنني ملكة لتحني برأسك لأجلي، يتبعه فارسيَّ فأتأكد حينها من وجود خطب ما، ما الذي جاء به الظرف.

يمد لي يده ليرفعني نحو أرضية العربة ولكنني رفضت دعوته بالصعود لوحدي، وأجلس في نهايتها لأرى سهول القمح بوضوح ونحن نبتعد للداخل، فلا أدري ماذا سيكون مصيري بعدما أتجاوز هذه المنطقة، كهل يا ترى سأعود، وذلك حتى ندخل أسوار المدينة حديثة البناء، فيغلق المبعوث الغطاء الذي في الخلف بنظرة جادة حقيرة، أفي البداية أعامل كأميرة وعندما أرضخ أعامل كسجينة، لم يكن علي حقًا الخروج من قريتي.

جلسنا في القاعة لدقائق طويلة حتى شعرت بأن الساعة التي على الحائط لا تعمل، ولهذا شغل بالي أمر ما، إن كانت أثينا حقًا من قام باستدعائي، فأنا على يقين بأنها ستكون هنا تنتظر قبل الموعد بساعات حتى، فعقلها لا يترك لها خيارًا إلا أن تقوم بكل شيء بشكل متتالٍ حتى لو عنى لها الأمر رمي البهجة عرض الحائط، صورة معاكسة تمامًا لما أنا عليه، مخيفة للغاية من الداخل كما ظهرت الآن من الخارج، يبدو أنها كما افترضت لم تكن تعلم حتى بأمر هذه المقابلة المفاجئة ما جعلها تقرر الغرق في النوم على غير عادتها فجر اليوم، الأسود مر الطعم في يدها تتجرعه وكأنه ماء بالنسبة لها، حتى جلست واضعة رأسها على الطاولة، وفور ما فعلت ذلك أغلقت عينيها وعادت لحلمها، ما هذه المسرحية السخيفة التي أدخلت إليها. تركتها تنام وعدت لمسألتي، فهذا ما كنت سأفعله لو كنت في القرية على الأرجح، أين يا ترى هو مفتاح اللغز في هذه المسألة الرياضية؟

- جوابها هو الجذر التكعيبي للخمسة على أثنين والكسر مضروب في تربيع المقاومة، تحليل معادلة البسط ممكن في بداية الحل ولكنه سيكون من الأسهل التعامل معها بتركه على حالته الأصلية، لا أصدق أن مسألة كهذه صَعُبة عليك. على العموم، أهلًا بك يا كاميليا في منزلك، مكتبة السماء.
- لا يصدق كيف يعمل عقلك حتى وأنت في نوم عميق، نسيت حقاً ما فعلته في الخطوات الأولى وأصررت على حلها من الوسط، كانت هذه غلطتي.
- لقد وصلك خبر مقتل يومان وجميع التفاصيل المتعلقة بالحادث، ما رأيك؟
- بالطبع أرفض قبول المنصب، لا أريد أن أترك حياتي الهنيئة لحل مشاكلكم.
- هي ليست مشاكلي أيضًا، لا علاقة لي بأي أحداث تصيب هذا العالم، بل أفكر حاليًا بأن وقت مغادرتي قد حان، ولكن أنتم. أنت الوحيدة المتبقية من طلاب أرخميدس، ويدك بعيدة عن علم الخوارق لسبب ما، وجيدة في إدارة الأعمال كما فعلت في قريتك، الجميع هنا قد صوتوا بالفعل لتشغلِ المنصب.

لم تكن لدي فرصة كما توقعت غير قبوله، الرفض لم يكن ضمن الخيارات التي قد منحتها، فبغياب يومان العجوز لم يتبقى لنا أحد من الجيل الأول، وأثينا بالفعل كل ما تخطط لفعله منذ مغادرة فيارا هو مغادرة العالم، أسيحكِّمون الآن على هذا العالم العظيم الجيل الثاني، من نُقِل وعاش في الحكمة من غير العلماء، من لم يُخْتاروا، وماذا كانوا يتخيلون مني أن أفعل؟ ماذا يتوقعون من فتاة بسيطة مثلي بالكاد استطاعت القيام بقرية أن تفعل؟

***

فتيل الحرب على وشك أن يصل نقطة الانفجار، إنهم في الخارج يعارضون حكمي، إنهم في الخارج يعلنون استقلالهم، أَمِن هنا يظهر الانحلال وما يطلق عليه الحرية؟ إن كانت أثينا قد قالت حقًا، فلماذا الآن الجميع ينتفض ضدي؟ إن كان من اختارني قد كان الجميع، فمن هم الجميع في نظرها والكل يرفض حكم فتاة من الجيل الثاني؟ نعم الأمر واضح وجليل، الجيل الأول الذين في المكتبة لم يكونوا يبحثون عن السلطة، وسط الجميع كانوا يهتمون فقط بالاستفادة من موارد هذا العالم الخصبة، ولكن مع مرور الوقت، لم يتبقى هنا غير أفراد الجيل الثاني الأصغر عقلًا، ونسينا أنه قد كان لدينا عالم في السابق دمرناه بالحرب، وأصبح التحكم في هذا العالم الفريد أمر يجذب له العقل، نحن نتحول إلى غابة ببطء، أم كان الأمر أنني فقط لست من مفضلي علم الخيال. نظرت إلى الخارج نحو الساحة لأراهم يتظاهرون، بسيوفهم ودروعهم وراياتهم، ألم يتعلموا الدرس بعد؟ الدماء ستنجس السماء من جديد، أيرغبون بأن تحل على هذا العالم مصيبة أخرى كالتنين؟

- (؟) أرخميدس وطلابه يعيدون فرض قبضتهم على المكتبة من جديد! ولاحقًا سيقومون بارتكاب مجزرة بنا كما فُعِل في السابق، نحن فرسان السيوف الخالدة، نعلن للمرة الثانية فرض سيطرتنا الكاملة على الأراضي الغربية من عالم

الحكمة، وسنعلن هذه المرة عن بدء ثورة السيوف والحكمة، سنسقط كاميليا ونحكّم الملك ياريس سيدًا لأرض الحكمة الموحدة!

حتى رؤيتهم، بقوتهم وتعجرفهم، يقتلون فرساني، دون أدنى اهتمام لمكانة هذه الأرض، لن يدخل اليأس في قلبي، لابد من وجود حل لهذا الجدال، نقطة نتفق عليها كلانا.

- أثينا قد أصدرت أوامر بإخراجك من هنا فورًا!
- إن كانت أثينا من تصدر الأوامر، فلمَ أنا هنا الآن؟!
- اعتذاراتي سيدتي، ولكنه أمر جد طارئ، حراس المكتبة لن يستطيعوا أبدًا صد هذا العدوان القوي من ثوار الجبل.
- فقط اخبر أثينا أننا سنجتمع مع ياريس وفرسانه في الساحة، سنتفق على حالة يرضى بها الجميع، حتى لو عنى الأمر تركي للحكم. لن نلطخ المكتبة بأي دم.

دخلتُ بخطوات صارمة كانت على وشك شق الأرض من صوتها إلى الساحة، يحيط بي الفرسان فورًا وكأنني قد ارتكبت جريمة بتحمل مسؤولية قيادة المدينة أو الحضور إلى هنا من الأساس، أرأيتم؟! أنا من أضع الحلول على الطاولة في النهاية. ظهرت أثينا لاحقًا إلى جانبي وأمامنا ياريس الذي رحب بها فورًا، هي مهمة في اجتماعنا كونها شخصية حيادية في هذا العالم، أهنا يبدأ نقاش حكمة جديدة كما السابق؟

- (كاميليا) شكرًا ياريس على تفهم موقفي، لقد كنت متأكدة من قبولك لدعوتنا.
- (أثينا) إن كان الأمر في يدكِ، فأنا متأكدة من أننا سنصل إلى حل في النهاية.
- (ياريس) نحن نرفض قبول حكم كاميليا علينا، الشعب في الجبل قد فوضني حاكمًا، هم يريدون شخصًا يحمي علم الخوارق من الانقراض، لا عالمة رياضيات!
- أفهم موقفكم هذا، ولهذا جمعتكم هنا، ولن نغادر حتى نتفق، نحن لا نريد أن نرى الدماء تتبعثر كما السابق، لقد عاش البشر هنا الكثير من الكوارث بالفعل.

- وسأضمن أن تكون الحلول الموضوعة واضحة وشفافة. رؤيتي الشخصية هي التالي، العالم مسؤولية كبيرة، ولاختلاف أنماط تفكيرنا واهتماماتنا، لتحكم أنت الجبل ليكون أرضًا للخوارق، ولتحكم كاميليا المكتبة لتكون أرضًا للعلوم، نحن لا نحتاج بالفعل لتوحيد أرضين بعيدتين فكريًا وجغرافيًا.
- وإن رفضتَ حل أثينا، فأنا أرى أن تمسك السلطة فحسب إن كنت حقًا ترغب بذلك، ولكن سيتم مراجعة تغييراتك من مجلس المكتبة كما كان يفعل أرخميدس فور ما جئنا، معًا سنقرر ما هو الأفضل لنا جميعًا.
- (ياريس) لديكم حلول جيدة على الطاولة، ولكن..

لقد كان سؤاله غريبًا ومفاجئًا على حد سواء، ألا يمكننا العودة لديارنا فحسب؟ لقد قالها وقلبه يملئه الحنين، فلم يعد لبقائنا هنا أي معنى، وهو على حق، لقد كان لديه وجهة نظر منذ البداية، فسنحل مشكلتنا الأن، وسنتقدم في السنوات حتى نموت ويأتي جيل وبعده جيل، إلى أين يريد البشر أن يصلوا بعلم السماء، بل إن أردنا أن نكون صريحين مع أنفسنا، فنحن لا نقوم حتى باستغلال علم السماء لتطوير البشرية، فقط لبناء عالم قد دمرناه ولكننا مصرين أن نعيش فوق أنقاضه بخيالنا، وبعد ذلك، أسنقوم فقط بتخزين العلم في عقولنا حتى نموت، إن كنا حقًا سنحقق الهدف من قدومنا، فعلينا الرجوع لعالمنا، ومن ثم تصحيحه وبناءه بما تعلمناه بعد كارثة آسيا، هذا ما رغب به أرخميدس، هذا ما رغب به البشر أجمع آنذاك، الأمان والعلم. لقد ضحكت أثينا بهدوء لرغبته، ومن ثم ضحكت مجددًا بشكل عالٍ، لا أدري ما نوع العلاقة التي تربطهما ولكن لابد أنها عميقة.

- بالأوراق التي لدي الآن، بإمكاني بناء بوابة أشد تطورًا تقوم بصنع خيط دائم بين العالمين، ولكن لا أعتقد أن السماء ستسمح لنا بذلك، سنلعب حينها في ساحتها وقد نمس أمان مقر العوالم، لذا سأقوم فقط بفتح بوابة ذي خيط

أحادي للمغادرة، حينها لن يتمكن البشر من الوصول إلى هذا العالم من جديد. بناء البوابة سيستغرق بضع أيام فحسب، لن تكون أبدًا كالسابقة من حيث التكنولوجيا البدائية، ولكن سأحتاج أيضًا مساعدة منكم لمرة أخيرة.

لقد سكتت للحظة بينما نحن نستمع بحرص، حتى أكملت بابتسامة.

- لقد كنت خائفة، ولكن قراركم بالمغادرة قد يمنحني الشجاعة الكافية لترك المكتبة أخيرًا والعودة لعالمي. لا يمكنني التصديق أبدًا أن البشر قد قرروا هجرة عالم عظيم كهذا، وبعدما تمنوا العيش فيه للأبد، لا جدال أن الأماني هي فقط لحظة بسمة.

وفي مشهد الختام، بعد ما ودعنا الرجال والقبور والصخور، جهزنا أمتعتنا وحملناها للخروج، كنت أتمنى أن نرى الشتاء هناك على الأقل، ولكن يبدو أننا سنكمل حياتنا في عالمنا الخاص الشاسع، عالمنا الفاسد الطبيعي المليء بالأحداث الدارجة التقليدية. وبعد ما تأكدت من سلامة الجميع، كنت الأخيرة التي ستغادر، نظرت بعيدًا إلى المكتبة وإلى بقايا المدينة التي بنيناها معًا وعشنا فيها لسنوات طويلة، كان علينا في النهاية تركها للأشجار والغبار كما كانت في السابق، لست حزينة عليها أبدًا، فسيبقى ذلك إرثًا لنا في هذه الأرض، رمز يُخَلّد لجميع المخلوقات أن البشر يومًا قد حكموا جزءًا من السماء. تضع أثينا يدها على كتفي بابتسامتها، فأقوم بمنحها حضنًا أخيرًا، أعدها فيه بأننا سنكون بخير. لقد كان العالم يتلاشى من أمامي بينما أنتقل، ولكنني متأكدة من رؤيته، لقد كان تنينًا أبيضًا ظهر خلفها، وضع يده بكل بؤس بداخلها، ومن ثم أخرجها بقلبها ما جعل الدماء تنتشر وتغطي الأرضية الصخرية، ما كان هذا؟ ما الذي حدث هناك بحق الجحيم!!

(3) من يخافها الموت

لم أدري هل كان علي حينها الفرح لوداعهم أو البكاء، فرمزية المشهد تنسيك توجه المشاعر التي تغرق القلب، فتحصل على خليط متضارب من العواطف، نصف منك ينظر للمكتبة وفوقها الشمس، كأحد أعظم الأماكن وأقدسها في الكون، فيتمنى أن يبقى فيه للأبد وبناء حضارة بشرية هي الأقرب للحكام، والجزء الآخر ينظر للغرب مع حلول الظلام، كشاهد على أعظم المصائب التي قد تحدث في الكون، فيتمنى أن يغادر هذه الأرض المعلقة بدلائل الفساد والموت، وبهذا وقع اختياري على ابتسامة ضبابية تكون ختامًا لهذا الصراع المحتدم، فقط كفتاة جبانة قررت الهرب وعدم خوضه من الأساس.

ظننت أن الأمر قد انتهى وقد حان الآن دوري للعبور، حتى غرز بسرعة وخرج قبل أن ألحظ ما هو، فقط رأيت عندما أخفضت رأسي الدماء التي تهمر كشلال من فتحة واسعة داخل صدري، ما كان ذلك الشيء؟ لقد حدث بجنون لدرجة أنني لم أشعر بأي ألم عندما أخترق جسدي لحسن الحظ، وما بتلك تصرخ؟ ألم تغادر هذا العالم بعد؟ ولَمَ أخرجت يدها بينما البوابة تعمل؟ اللعنة، لَمَ أخرجتها؟! وما بها تسحبني معها كالبلهاء؟! وما بنظري يتلاشى بعيدًا؟! بل ورأيت الريش على يداي فقررت السؤال، من أنا؟

- (؟) جراي شيزومي، الباحثة السماوية أثينا، والمهندسة العظيمة خادمة السماء.

لقد مرت عني بخطواتها المتسارعة وسط ساحة قصر ذهبي، مرتدية درعها الأرجواني، لابد أنها لافيندا لا غير، أقد قررت السماء الآن إحضاري كما حدث مع فرسان الحكمة؟

- شخصية مثلك لا يجب تركها تموت هناك. - ولكنك تعلمين أنني لا أموت!

جواب صريح كافٍ لإيقافها باعتدال. استفزاز الحاكمة ليس لصالحي، ولكنني لا أملك ما أخسره بعد تلك النقطة، لقد متُّ بالفعل، وهذه الحقيقة كبشرية لا أريد منها أن تتغير.

- كما سمعت في السابق، الموت يغشاك كما يغشى باقي التنانين، وكونك حاملة لعينيه، فأنت حاضنته المقدسة التي ستعامل بأعظم مما سيعامل لاحقًا، هي ليست إلا مسألة وقت حتى تفقس البيضة التي تحتويها ويعود ليحقق غايته.

هي تعرف المشكلة، وعلى الرغم من ذلك تتجنبها بالكامل، لم أتوقع أقل من ذلك صراحة من حاكمة يطلق عليها لقب الخائنة، المفسدة، حاربها أعوانها وأعداءها معًا في نهاية القصة.

- ويبدو أنه لا يملك الصلاحية لقتلي ولا أنت أيضًا، فبِتُّ قنبلة لا يمكن تعطيلها، إن كان بيدي القرار، سأقوم فقط برميها بعيدًا وأنسى أنها كانت موجودة.
- وما هي إلا مسألة وقت حتى يذبل هذا المجلس، السماء لا تستطيع أن تصمد لعصر آخر، وتايم كانت تعلم هذا جيدًا وربما أنت أيضًا، الطريقة الوحيدة لإعادة استقراره هي بإعادة احتوائه وتجديده.
- ولهذا قررت تركه والهرب أم بتنا في عصرٍ لم يعد للحكام الطاقة الكافية لفعلها؟

أدارت وجهها حتى أمكنتْ لعينيها رؤيتي ولكن دون ترك فرصة لي لرؤية وجهها الجاد، والضوء ظهر نهاية الساحة لأرى ظلًا أسودًا فقط يتحدث أمامي، عابسًا، حاقدًا، دامٍ.

- لم يكن للحكام أبدًا طاقة كافية لفعل هذا، لا الآن ولا سابقًا، فخطيئتها قد قامت تضعفنا شيئًا فشيئًا، حتى بات الأمر متروكًا له بأن يولد ويظهر، كملك.
- ولقد قررت الجلوس على العرش ورؤيته يحترق عوضًا عن منحها إياه.
- هي أضعف من أن تسيطر على سلطة التاج، لذا اخترته رغبة مني في احتواء الموقف لا الاقتراب أكثر من النار كما تريد هي، ولدي أساليبي لفعل ذلك.
- ليس وكأن لي يد في أمور كهذه لأفرض رأيي، فأنا لست أكثر من ذرأ بشرية.
- بل أنت أعظم من هذا بكثير أيتها الباحثة السماوية أثينا، ولا يليق بك دور ذلك الكائن البسيط، فلولا ذلك، لم كنت سألقاك، ولتركتك هناك جثة.

يغلق القطار أبوابه مع لحظة تغير الصورة، يبدو أنها على الأرجح قد هدأت أخيرًا مع لحظات السكوت التي لممنا فيها أنفاسنا وأفكارنا، وماذا الآن، هل سأنتظر طويلًا حتى يتم تحديد مصيري؟ لقد كنا في الداخل، هي تجلس في المقعد الذي أمامي، ما زالت خائفة من مواجهة نظراتي بالرغم من هالتها الجادة وكلماتها المباشرة الصريحة التي تطغى على المشهد، ومن كونها الحاكمة، هي تمنح نفسها صورة وضيعة لتهرب خلف غطاء تواضعها.

- وأحبذ عدم ربط اسمي بالسماء، ما زال لدي خلافات مع سياساتها الحالية.
- ظننت أنك ستكونني فخورة بتنصيب اختراعك العظيم هناك فحسب.

إذن لم يكن لمقر العوالم بوابة من قبل، ما فائدتها على أي حال إن كانوا يستطيعون الانتقال بحرية بصلاحياتهم، أهي تتلاعب بي الآن، أم أنها كانت جادة حقًا بقول ذلك.

- لابد أنك تنتظرين هذه الكلمات بشوق، وفضول، وتسألين نفسك لماذا جئتُ بك إلى هنا. لسببين تحديدًا، الأول، أريد منك تحديد نتيجة الخلاف الذي طرح في البداية، فأنت قد سمعت بالقصة، وعشت نهايتها، فهل كان ما ينقص البشرية لترتفع مستوًى القوة أم العلم؟
- إن كنت سأعتمد تجربتك الخاطئة، فلن نصل أبدًا إلى إجابة صحيح، ولكن حسب فلسفتي لم رأيته من أحداث سابقة، فالبشر لا ينقصهم أي شيء، هم بالفعل مكتملي التطور، وأي تلاعب يحدث في ميزان استقرارهم يقود فقط إلى كارثة عليهم وعلى الجميع. منحت آسيا القوة ولكن الجنون من قادها، ومنحت فيارا العلم ولكن الجشع من قادها، وكلاهما خلق مصيبة فقط لعالم البشر. ومن الاستهزاء حقًا أن تفعلِ ما فعلته فيارا بوضع البشر، بحكم طاقة خلاياهم، في قاع الهرم، فهم قد لا يمتازون بالطاقة والقوة الضخمة، ولكنهم يملكون الكثير من الصفات التي تمنحهم بطريقة ما القدرة على التكيف والتغلب على الموقف دائمًا.

لقد قبلتْ بالإجابة، كان الأمر واضحًا من سكوتها، ومن الابتسامة الناعمة المليئة بشعور الخطأ والتأنيب التي رأيتها عندما تركتُ مقعدي وتوجهت نحوها. هذه المرة الأولى التي أقولها، لقد كنت مخطئة في حكمي السابق، هي لا تتجنب المشكلة كما يظهر عليها، هي حقًا لا تعرف كيف تقوم بحلها، فيرى الآخرون أنها تحاول الهرب منها فحسب بافتراض أنها تملك السلطة لفعل أي شيء، وعلى الرغم من ذلك، هي تصر على أن تجد لها حلًا، كما كانت تصر على فهم قلب البشر العميق طوال تلك السنوات دون تعب، لقد فهمت الأمر فور رؤية ذلك المشهد، ما جعل قلبي يغرق في طمأنينة لم يسبق لها مثلي.

- وما هو السبب الثاني؟
- الروح ستكون ضعيفة عندما تظهر، ولا أعتقد أن الحكام سيصمدون حتى ذلك الحين ليكونوا له دليلًا، وفي عالم فاسد بالكامل كذاك، سيقف حائرًا وينهار ويغرق وبرفقته العوالم، لذا يا من يخافها الموت، هل بإمكاني طلب ذلك منك؟ أن تكون له دليلًا عند الضياع.

وكيف أقولها، كان علي رفض طلبها ذاك في مشهد الختام، لأنني أجبن من تحمل مسؤولية هذا الكون بأكمله بعدما يطغى عليه الفساد، فما أنا غير بشرية منحت بعض العلم، وبعض السنين الإضافية لتعيشها. بأوراقي المبعثرة على مكتبي الذي في الحديقة المنزلية، وبقهوتي التي اعتادت أن تبرد وهي تنتظر على الطاولة، مر على عقلي سؤال لحظي، كيف يا ترى تورطت في هذه الأحداث جميعها؟ فلا أتذكر أبدًا أنني تمنيت شيئًا، والآن انظر إلى حالي، أنتظر فحسب بنفاقٍ أن يظهر، فقط لأرى كيف سيكون هذا البطل الفريد الذي يعتمد عليه الكون لينقذه من مصيره المحتوم، وهل سيلزم حقًا أن أرشده كما كانت تبغي.





الفصل الإضافي

فساد

آثينا والسراب

لـن نمضـي بعيـدًا بهـذه الذكريـات، ليـس وكأننـا قـادرون علـى ذلـك فـعلًا، وسـنكذب علـى أنفسـنا مـرارًا وتكـرارًا أننـا سـنمضي، نخلـق هـذا الوهـم لنشـعر بالحيـاة، وإلا سـتوقفنا الأوهـام فـور إقـرار خطـوة، ولـن نسـتطيع تحقيـق الواجـب المفـروض علينـا، الـذي أيضـًا خلقنـاه لنشـعر بالمسـؤولية، أننـا على بعد خطوة من النجاح.

لـم يجبرنـي أحـد علـى البقـاء طـوال الليـل متيقظـة الخطـر، مطـاردة ذئـاب الجهـل، هـي فقـط عـادة ـبتها مـع مـرور الأيـام، فكلما يشغل بالك أمر، وتبدأ بالبحـث عنه داخـل كتـب وسجلات، سيتبعه الكثيـر مـن السبل المتعـددة التـي يقودهـا الجهل، ومـن ثـم يتبعـه الضيـاع لساعات دون أن تشعر في بحـر العلـم الـذي لا نهايـة لـه، غوصـًا أو غرقـًا، هـذا فقط ما تقرره أنت.

ولكـن لا تبتعـد كثيـرًا عـن السـاحل، لا تخطـئ وتظـن أنـك أقـوى مـن أمـواج الفكـر، لا تغتـر بنفسـك وتظـن أنـك قـادر علـى تسـجيل مـا لـم يقـم بـه أحـد قـط، لربمـا ستسـطيع، لا يمكنني نفـي ذلـك، ولكـن مـاذا سيكون الثمـن، حياتـك، أيامـك، ساعاتك، صحتـك وأموالـك، هـل بإمكانـك التضحيـة بمـا هـو أغلـى مـن كل هـؤلاء، الديـار والعائلـة أيضـًا. مـاذا تظـن الآن، إلـى أين يمكنك الابتعاد.

